موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٥١)

الوسطية

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٥١

الوسطية

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رواح

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com
www.mtenback.com

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٣٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٥١)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣

٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمـك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٢-٢٣٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٥١)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الوسطية لغةً	٧
الوسطية اصطلاحًا	٩
مرادفات الوسطية	١٥
الإسلام ودعوته للوسطية	٢٨
الوسطية والمرأة	٣٦
القدوة في الاعتدال	٧٤
الوسطية في الأسرة	٧٧
التطرف	٨١
الوسطية في البلاغة والأسلوب	٨٥
الوسطية في واقعنا المعاصر	٨٨
الفهارس	٩٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا ... عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حافظ إبراهيم

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

www.mtenback.com

توطئة:

الوسطية فرع أصيل من شجرة الأخلاق الباسقة التي تظل بظلالها الناس في كل زمان ومكان، وهي من مكارم الأخلاق، بل هي ميزان للأخلاق الفاضلة، والعادات الحسنة التي تعارف الناس على ممارستها، فالمكارم الحقة ما كانت معتدلة من غير إفراط ولا تفريط وهي بذلك تقترب من الكمال المنشود.

والتوسط خلق رفيع، وخصلة حميدة تتفق مع الفطرة البشرية السليمة، وتنبع من مبادئ الخلق الكريم، وهي من صفات الأخيار، ذوي الحلم والصلاح، الذين تنأى بهم أخلاقهم عن المشكلات التي قد تنجم نتيجة الإسراف في الأمور أو الفتور فيها والتوسط في الأمور يكون السبيل للخلاص من العيوب الاجتماعية العديدة.

والاعتدال في كل شيء أمر مرغوب ومحمود.

ولو نظرنا إلى سلوك الناس وأفعالهم مما ينضوي تحت مظلة مكارم الأخلاق لوجدنا الكمال في التوسط والاعتدال فلا الإسراف محمود، ولا الإقلال مقبول، كذلك كان الإنسان الذي ينتهج الوسطية في تصرفاته مطمئن البال قرير العين تجاه نفسه وتجاه الآخرين، فهو قريب من الواقعية، يزن الأمور بميزان العدل الدقيق، ليكون حكم الناس عليه متزنًا ومعتدلاً، فهو في تصرفاته المعتدلة يكسب ثقة الجميع وحبهم، وما ذلك إلا لأنه نأى بنفسه عن التطرف في الحبّ والبغضاء، وابتعد عن الإفراط والتفريط فيهما، فاستقرت حاله وخلا قلبه من الشحناء، والأنانية، والغيرة، وحب الذات، وخلص من كل ما يشين سلوكه فأحبه الناس كما أحبهم، وحفظوا له الودّ كما حفظه لهم.

وخلاصة القول: فالوسطية منهج عادل تكسب صاحبها التوازن في جميع الأخلاق الفاضلة وتؤدي إلى نقاء النفس وتخلصها من الانحراف، وفي تطبيقها صلاح الناس في الدنيا والآخرة لما تندرج عليه من الاستقامة، والفضيلة، والأصالة، والخير، فهي مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الوسطية لغة:

وسَط الشيء (بفتح السين): ما بين طرفيه.

قال الشاعر[1]:

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُوْنِي وَسَطًا إِنِّي كَبِيْرٌ لا أُطِيْقُ العُنَّدَا

أي اجعلوني وسطًا لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف إذا كنت وحدي متقدمًا لكم أو متأخرًا عنكم أن تفرُط دابتي أو ناقتي فتصرعني. وأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسَط المرعى خيرٌ من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خيرٌ من طرفيها لتمكن الراكب، ولهذا قال الراجز[2]:

إِذا ركِبْتُ فَاجْعلاني وَسَطًا

ومنه الحديث: «خيار الأمور أوساطها»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[4] أي على شكٍّ، فهو على طرفٍ من دينه غير متوسط فيه، ولا متمكن. فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[5] أي عدلاً خيارًا.

وأما الوَسْط بسكون السين، فهو ظرفٌ جاء على وزن نظيره في المعنى، وهو بَيْن، تقول: جلست وسْطَ القوم أي بينهم، قال الشاعر[6]:

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، الرياض، مكتبة الرشد، ط٣، (١٩٩٤م)، مادة (وسط).

[2] المصدر السابق.

[3] العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء، دار إحياء التراث، ط٢، ١/٣٩١.

[4] سورة الحج: الآية ١١.

[5] سورة البقرة: الآية ١٤٣.

[6] لسان العرب: مادة (وسط).

www.mtenback.com

أَكْــذَبُ مَــن فاختــة   تَقُــولَ وسْــطَ الكَــرَبِ
وَالطَّلْــعُ لَــمْ يَبْــدُ لَهَــا   هَــذَا أَوَانُ الرُّطَــب

ويقال: وسَطْتُ القوم أسِطُهُم وَسْطًا وسِطةً أي توسطتهم، ووَسَــطَ الشّــيءَ تَوسَّطَهُ: صار في وسطه. و وُسُوط الشمس توسطها السماء[7].

والوسيط المتوسط بين المتخاصمين وواسطة القلادة الدرة التي في وسطها وهي أنْفَس خرزها. والصلاة الوسطى هي المذكورة في التنزيل في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[8]، لأنها أفضل الصلوات وأعظمها أجرًا[9].

وفي التنزيل: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾، أي أعدلهم وخيرهم[10].

وقال الشاعر[11]:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَــامُ بِحُكْمِهِــم   إِذَا طَرقَتْ إِحْدَى اللّيَــالِي بِمُعْظَــمِ

وقال أبو العتاهية[12]:

لا تَذْهَبَــنَّ فِي الأُمُــوْرِ فَرَطــا   لا تَسْــأَلنَّ إِنْ سَــأَلْتَ شَــطَطا
وكُنْ مِنْ النَّاسِ جَمِيْعًا وَسَطًا

(7) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وسط.

(8) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(9) ابن منظور: لسان العرب (وسط).

(10) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الدر المنثور، دار الفكــر، بــيروت، (١٤١٤هـــ/١٩٩٣م)، ٢٥٢/٨، تفسير سورة القلم. والآية ٢٨ من سورة القلم.

(11) الجاحظ، عمرو بن بحر: في البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ٢٢٥/٣.

(12) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، ديوان أبي العتاهية، شرح مجيد طراد، دار الكتــاب العربــي، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص ٤٤٧.

www.mtenback.com

ومن هذه المعاني اللغوية للوسط نستنتج أن الوسطية منهجٌ بين الإفراط والتفريط، فيه الاعتدال والأفضلية والخيرية كما قال الشاعر[١٣]:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُوْرِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ، وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُوْلاً وَلاَ صَعْبَا

وللآخر:

حُبُّ التَّنَاهِي غَلَطُ خَيْرُ الأُمُوْرِ الْوَسَطُ

الوسطية اصطلاحًا:

عرف ابن قيم الجوزية الوسطية بقوله: «.. وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة»[١٤].

ويعني بذلك الخيرية التي تقتضي العمل بما فيه صلاح الناس في الدنيا والآخرة، دون غلو وتعصب وتقليد أعمى، ودون تساهل وتفريط مبني على الأماني.

وعَرَّف أبو البقاء الكفوي الوسط بقوله: «هو اسم المكان الذي يستوي إليه المساحة من الجانب المدور ومن الطرفين من المطوّل، كمركز الدائرة، ولسان الميزان، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي الإفراط والتفريط»[١٥].

أما محمد عبد اللطيف الفرفور فيعرفها بقوله: إنها «حالة محمودة غالبًا تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط»[١٦].

ومن هذه التعريفات لمصطلح الوسطية نصل إلى أنها خلقٌ محمود مرغوبٌ فيه، تستقيم عليه أمور الناس، وتصلح به دنياهم وآخرتهم.

---

[١٣] العجلوني: كشف الخفاء ٣٩١/١، وكذلك ما بعده.

[١٤] ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر: الفوائد، دار الريان، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ)، ص٢٧.

[١٥] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى: لكليات، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، دار الرسالة، (١٤١٢هـ)، ص ٩٣٨.

[١٦] الفرفور، محمد عبد اللطيف: الوسطية في الإسلام، بيروت، دار النفائس، (١٤١٤هـ)، ص٢٧.

www.mtenback.com

ومن معاني الوسط هنا المركز بين الطرفين، لأن من كان في الطرف كان أقرب إلى الهلكة، وأبعد عن الأمن والطمأنينة، كما قال الشاعر[١٧]:

كَانَتْ هِيَ الوَسَطَ المَمْنُوعَ فَاسْتَلَبَتْ مَا حَوْلَها الخَيْلُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا

ولو تأملنا هذا المعنى لوجدنا أن الأطراف عرضة للتآكل والفساد، بخلاف الوسط الذي يكون محروسًا فلا يصله العطب إلا في النهاية، وحينما يرد الوسط في كلام العرب فإنه يراد به القوة والخيرية والعدل، فيقولون: خير الأمور الوسط، والفضيلة بين رذيلتين[١٨].

ويندرج في معنى الوسطية الاستقامة، والأفضلية، والخيرية...

ويمكن أن نطلق على الوسطية التي تدعو إليها الفطرة البشرية الصراط المستقيم الذي ذكره الله تعالى في كتابه، وأمر بانتهاجه، والسير عليه..

ومما سبق يظهر أن الاعتدال في كل شيءٍ أمرٌ مرغوبٌ محبب إلى النفس، تترتب عليه آثارٌ إيجابية تعمّ فوائدُها كل شرائح المجتمع وفئاته، وتعود بالخير على الناس في حياتهم الدنيا وفي أخراهم، ولذلك كان الاعتدال هدفًا وغايةً لمن ينشد الأمن والطمأنينة والصلاح ويبحث عن رضا الله ورضا الناس.

فمع الاعتدال يحصل الشعور بالعدل والأمان، ومع الوسطية تتحقق الخيرية والأفضلية، ودون ذلك التخبط والتطرف أو الخمود والتفريط.

قال المعرّي[١٩]:

---

[١٧] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: ديوانه، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١٩٢.

[١٨] انظر: ابن حميد، صالح بن عبد الله: الوسطية في الإسلام، المجلة العربية، (١٤١٥هـ)، ص٢٥.

[١٩] المعري، أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان: شرح سقط الزند، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٧/١٩٨٧)، ص١٩٦.

www.mtenback.com

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي العَيْشَ فَابْغِ تَوسُّطًا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ
تَوَقَّى البُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهِلَّةٌ وَيُدْرِكُهَا النُّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

والإنسان بطبيعته يسعى إلى الكمال، ويتطلع إلى السمو، ولكنه ضعيفٌ يعتريه النقص، ويتعثر باستمرار، ومع ذلك فهو لا يكل يطلب المعالي، ويجتهد في الوصول إلى القمة..

وخير طريقة للسعي نحو الأفضل أن تسلك مسلكًا وسطًا، وتنتهج نهجًا معتدلاً، وكان من مختار الكلام قولهم: «أحسن الأعمال أن تأتي بها على حالة الكمال، من غير زيادةٍ فيها ولا نقصان، فهي أوسط الأحوال فيها، وأعدلها؛ لأنه لم يكن تقصيرٌ فتندم، ولا تكثيرٌ فتعجز» ومثل قول آخر: «إياك ومفارقة الاعتدال، فإن الْمُسْرف مثل المقصر في الخروج عن الحد»[٢٠].

والاعتدال طريقٌ للعدل الذي به تستقر الحياة، وتُعمر الأرض، ويسعد الإنسان، والعدل كان منذ قديم الزمان سببًا في طول عمر الأمم، ورفعتها ومجدها، بعكس الظلم الذي هو مفتاح الفساد والانهيار ولا يكون الإنسان رضي النفس مطمئن البال إلا إذا أشعر نفسه بتوطينها على قبول العدل وقد قال بعض العلماء : «إن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروجٌ عن العدل، ولست تجد فسادًا إلا وسببه الخروج من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان..»[٢١].

وبالاعتدال يتبوأ الإنسان مكانةً مرموقة في المجتمع، فلا يكون محتقرًا ذليلاً يعيش مع الرعاع والغوغاء، ينظر إليه الناس نظرة ازدراء وامتهان، ولا متكبرًا متجبرًا يعيش

---

[٢٠] الدجوي، أحمد سعيد، فتح الخلاق ومكارم الأخلاق، مكتبة أسامة بن زيد، حلب (د.ت)، ص١٠٩-١١٠.

[٢١] المصدر السابق، ص١١٠.

www.mtenback.com

حياة الطغاة والعتاة، وينظر إليه الناس نظرة خوف ورهبة، وقد صدق من وصف علاقة المرء بمن حوله حين قال: «أحسنُ الأحوال حالٌ يغبطكَ بها من دونك، ولا يحقرك معها من فوقك»[٢٢]، وصح أن: «أكثر الخير في الأوساط»[٢٣].

ومن الوسطية أن تضع كل شيء في موضعه، فلا تستعمل العنف في موضع العفو، ولا العفو في موضع العقاب، وإنما تضع كل أمر في موضعه ومن لم يستطع وضع الأمر موضعه صدق عليه قول المتنبي[٢٤]:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

قال الإمام الغزالي : «فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر»[٢٥].

والوسطية تؤدي إلى نقاء النفس من الأدران الأخلاقية، والأحقاد القلبية، وكل ما من شأنه إيقاد نار العداوة والبغضاء، وتؤدي إلى نظافة المجتمع من آفات الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وأمراض الأثرة والأنانية وحب الذات ولها غير ذلك فوائد كثيرة ينعم بها كل مجتمع هيمنت عليه الوسطية، وكانت سمته البارزة في تعامله وفي سلوكه وحياته.

وقد قيل: إن كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فهي وسطٌ بينهما، «فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسطٌ بين الجبن والتهور، والإنسان

---

[٢٢] الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، (١٩٩٩م)، (١/٢٣٥)

[٢٣] أحمد سعيد الدجوي، فتح الخلاق ومكارم الأخلاق، ص١١٠.

[٢٤] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوانه، شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكاتب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ) ج٢، ص١١.

[٢٥] الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ط٣، (١٤٠٥هـ)، ٣/٢٦٣.

www.mtenback.com

مأمورٌ أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدًا ازداد منه تعريًا، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان»[٢٦].

والاعتدال في أمور الحياة كلها يفرز مظهر الواقعية لكل ما يجري، فتقاس الأمور بمقياس حقيقي، وتفسَّر الأحداث بمنأى عن التحيز والضبابية.

يقول عبد الكريم بكار: «إن الواقعية تتمثل في فهم ما ينبغي إنجازه، وفهم الإمكانات المتاحة لذلك مع تصور صحيح للعقبات التي تحول دون ذلك من غير شطط، ولا إفراط أو تفريط، مع حساب نسبة معقولة للمفاجآت والأخطاء التي قد تقع»[٢٧].

والوسطية مبدأ اجتماعي أصيل في ظلها تتحقق الحرية للناس جميعًا، فالمجتمع الذي يفتقر إلى الوسطية ينشأ فيه السادة والعبيد، ويكون فيه الظالم والمظلوم، وتتميز الطبقات، وتنشأ الفروق، وتشيع الخلافات. وإظهار الوسطية في المجتمع يعيد له ملامحه المميزة، التي تحض على الاستفادة من التطور الحضاري في ظل الإيمان، وتوجه الأمة إلى البناء والتعمير، وتبعدها عن الخلافات والانحراف، فإذا انتفت الوسطية اضطرب النظام واختل التوازن، ونشأ عن ذلك طغيان، وكبرٌ، وظلم، ورهبانية، وتطرف لا حد لآثاره السلبية.

والوسطية منهج يشمل الأخلاق الفاضلة جميعها، كما ينبغي أن تكون الصبغة التي تتشكل بها التصرفات والسلوكيات الاجتماعية المختلفة..

---

[٢٦] ابن الأثير، المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث، أنصار السنة المحمدية، لاهور، باكستان، ج٥، ص١٨٤.

[٢٧] بكار، د. عبد الكريم: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم، الرياض، ط١، (١٤١٧هـ)، ص٢٩٥.

www.mtenback.com

وقد شرح ابن القيم هذا المعنى بقوله: «للأخلاق حدٌّ متى جاوزته صار عدوانًا، ومتى قصرت عنه صارت نقصًا ومهانة، فللغضب حدٌّ، وهو الشجاعة المحمودة، والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كماله، فإذا جاوز حدّه تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبُن و لم يأنف من الرذائل، وللحرص حدٌّ، وهو الكفاية في أمور الدنيا، وحصول البلاغ منها، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرهًا، ورغبة فيما لا تحمد الرغبة فيه.. وللشجاعة حدٌّ إذا جاوزته صار تهورًا، ومتى نقصت عنه صار جبنًا وخورًا، وحدّها الإقدام في مواضع الإقدام، والإحجام في مواضع الإحجام.....، وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه، أو نقص عنه، ذهب عن صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية، كالنوم والسهر والأكل والشرب، وغير ذلك، إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا، وأثمرت نقصًا..»[٢٨].

من هنا تتضح أهمية الوسطية، والحاجة الماسة إليها في مجتمعاتنا التي تلوثت في كثيرٍ من الأحيان بآفات التطرف في الأشياء، وعانت مآسي الانحراف عن الجادة، وسلوك سبل الضلالة.

فالوسطية تعني الاستقرار والهناء..

والوسطية تعني الرفعة والخيرية..

والوسطية تعني النقاء والصفاء..

وهي – بعد هذا كله – مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر.

---

[٢٨] ابن قيم الجوزية: الفوائد، ص١٩٢-١٩٤.

www.mtenback.com

مرادفات الوسطية:

يشارك الوسطية عدة مرادفات في اللغة تحمل معاني ينبغي الوقوف عليها حتى يمكن الإحاطة بالمعاني التي تحملها قيمة الوسطية.

ومن هذه المرادفات الاعتدال والاقتصاد، فالاعتدال توسط حال بين حالين، كقولهم: جسمٌ معتدلٌ بين القصر والطول، وماءٌ معتدلٌ بين البارد والحار ويوم معتدل أي طيِّب الهواء، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عَدَلْته، وهو مأخوذٌ من العَدْل، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجَوْر.

ويقال: فرسٌ معتدل الغُرَّة، إذا توسطت غرته جبهته فلم تُصب واحدةً من العينين، و لم تمل على واحدٍ من الخدّين، والمعتدلة من النوق هي الحسنة المثقّفة الأعضاء بعضها ببعض، ورَوَى شَمِرٌ عن أبي عدنان الكناني أنه أنشده:

عَدَلَ الْفَحْلُ، وَإِنْ لَمْ يُعْدَلِ ... وَاعْتَدَلَتْ ذَاتُ السَّنَامِ الأَمْيَلِ

قال: اعتدال ذات السنام الأميل استقامة سنامها من السِّمَنِ بعدما كان مائلاً[٢٩].

ومن المعاني اللغوية للوسطية : الاقتصاد في الأمور وهو التوسط والاعتدال، من قَصَد في الأمورِ قصْدًا، واقتصدَ اقْتِصَادًا إذا توسط، والمقتصد هو المعتدل. قال الزمخشري: «قَصَد في الأمر إذا لم يجاوز فيه الحدّ ورضي بالتوسط»[٣٠] وقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[٣١] أي توسط فيه[٣٢].

---

[٢٩] ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٣٦، والفيروزآبادي: القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، (١٤١٧هـ) ج٢، ص١٣٦٠ مادة (عدل) فيهما.

[٣٠] الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ط٢، ج٢، ص٢٥٥، مادة (قصد).

[٣١] سورة لقمان: الآية ١٩.

[٣٢] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ط٥، (١٤١٧هـ)، ج١٤، ص٤٨

www.mtenback.com

وقال تعالى: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٣٣] قال القرطبي: «الاقتصاد الاعتدال في العمل».

قال الفيومي: «قصد في الأمر قصدًا، توسط وطلب الأسَدَّ، و لم يجاوز الحدّ»[٣٤].

فالقصد والاقتصاد هو الاعتدال في الدين، والتوسط في أحكامه، والسلوك فيها مسلكًا وسطًا بين المغالاة والتقصير، أو بين الإفراط والتفريط، والقصد في النفقة أو الاقتصاد فيها هو التوسط بين الإسراف والتقتير[٣٥].

الاعتدال فطرة بشرية:

إن ميل النفس البشرية للاعتدال والتوسط في الأمور من الفطرة، وقد جُبل الإنسان عليه فهو طبيعةٌ أصيلة في البشر منذ بدء الخليقة، فالإنسان يأنس بفطرته للتوازن والاستقامة، وينفر من الانحراف وتجاوز الحد في كل شؤونه، فيشعر بالطمأنينة إذا عاش في مجتمع يتصف بالاعتدال وعدم التطرف، ويحس بالسعادة في الجوِّ الآمن الذي لا يجنح أهله إلى العنف والفوضى، ويتمنى دوام مثل هذا الحال لينعم مع أهله ومعارفه بحياة هادئة هانئة في ظل الاحترام المتبادل بين أبناء المجتمع، وفي ظل علاقات قائمة على الود والصفاء، وبعيدة عن الضغائن والأحقاد التي تشتت تفكيره وتبعده عن الاعتدال في الأمور.

ولذلك كانت الخطيئة الأولى لابن آدم على وجه البسيطة هي تجاوز حد الاعتدال في معاملة الآخرين فكانت خروجًا عن المألوف، وطغيانًا على الفطرة،

---

[٣٣] سورة المائدة: الآية ٦٦.

[٣٤] الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، (١٩٣٥م)، ٦٩٢/٢، مادة (قصد).

[٣٥] انظر: الزحيلي، د. محمد مصطفى: الاعتدال في التدين فكرًا وسلوكًا ومنهجًا، طرابلس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١، (١٩٩٠م)، ص٣٠٣-٣٠٥.

www.mtenback.com

وإسرافًا بغير حق، كما وصف القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٣٦].

فقتل النفس بغير حق من أعظم صور التجاوز، وهو من نوازع الشر التي تؤدي إلى الفساد والضرر، ومع ازديادها ينحسر الأمن، وتتحول الحياة إلى جحيم لا يُطاق، إذ يهيمن الخوف والهلع والفزع، ويتضرر المجتمع بأسره.. وإنّ وجود عصابة صغيرة في مجتمع كبير كفيل بأن يقلب حياة الاستقرار إلى اضطراب وذعرٍ وقلق، وهذا ما يحدث اليوم في مجتمعات كثيرة أصيبت بلوثة الغلو والتطرف، فما عادت تحس بطعم للحياة ولا بطمأنينة ولا استقرار.

لذلك جاء التأكيد في هذه الآيات على عظم جرم من يرتكب القتل بحق البشر بدون سبب يستدعي القتل وبشروطه المعتبرة، لا بمجرد الهوى والتأويل المنحرف.

---

[٣٦] سورة المائدة: الآيات، ٢٧-٣٢.

www.mtenback.com

من هنا كانت الحاجة ماسة للاعتدال والاستقامة، كيف لا وهي التي لا يتحقق الأمن إلا بها، ولا يتذوق المجتمع طعمًا للسعادة والاستقرار إذا فقدها؟!.

إن الفطرة البشرية تطمح للعمران والبناء، وتتطلع لحياةٍ مثالية لا تشوبها منغصات العنف التي تجلب الخوف والهلع، وتؤدي إلى خلخلة البناء، وبالتالي فإن الغلو والطغيان أمرٌ طارئ، وعارض يبرز نتيجة لتراكمات من الانحراف ومعاندة الفطرة لأن الأصل الهداية والاتزان، والطبيعة البشرية مفطورة على حب السلام وإيثار الأمن، وتجنب المشكلات والمنغصات، ولا يحدث انحرافٌ إلا وراءه عاملٌ طارئٌ من عوامل استفزاز الفطرة وتهييجها يؤدي إلى خروجها عن المألوف، وانحرافها عن طورها الطبيعي في الهدوء وحب السلامة.

يقول الشيخ محمد الغزالي عن نوازع النفس البشرية: «.. إن فيها فطرة طيبة، تهفو إلى الخير، وتُسَرّ بإدراكه، وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها.

وإن فيها - إلى جوار ذلك - نزعات طائشة، تشرد بها عن سواء السبيل، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر، ويُسِفُّ بها إلى منحدر سحيق»[٣٧].

ويقول في موضع آخر: «.. وهذه الطوارئ المفسدة للفطرة، قد تتكون من رواسب القرون الماضية، أو من تقاليد البيئات الساقطة، أو من كليهما معًا، وهي شديدة الخطر فيما تجره على الفطرة البشرية من علل، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها، وإنقاذ الفطرة من غوائلها، حتى تعود إلى صفائها الأصيل، وتؤدي وظيفتها الحقة..»[٣٨].

---

[٣٧] الغزالي، محمد: خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ط١٠، (١٤١٣هـ)، ص٢٣.

[٣٨] المصدر السابق، ص٢٤.

www.mtenback.com

والبناء الاجتماعي لا يتم إلا في جوٍّ من الاستقرار والأمن، وهذه لا تتوافر إلا إذا ارتقى أبناء المجتمع بفكرهم وشعورهم وعلاقاتهم فيما بينهم، فكانوا كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهذا لا يتحقق إلا بهيمنة الاعتدال، وغلبة الوسطية التي تتيح المجال واسعًا للإعمار والبناء..

فالإصرار على الخطأ في الأقوال والأفعال، أو الجنوح إلى العنف في المعاملات الشخصية أو العامة، أو التمادي في سلوك سبل الضلال، أو التكبر والعتو وعدم الالتفات إلى مصالح الآخرين، كل هذه الأمثلة معاول هدم تخلف العنف وتجعله مما ينخر في جسد المجتمعات الإنسانية، ويهدم كل معالم الوسطية والاعتدال، ويحول الحياة إلى فوضى لا ترجع على أبناء المجتمع إلا بالويل والثبور، وعظائم الأمور.

وبالتالي كانت الوسطية هي الأساس الذي يقوم عليه البناء السليم للحياة في كل المجتمعات، أما الغلو والعنف والتطرف فمجرد عوارض تجلب الدمار والخسران، وتنتهي بأصحابها إلى الندم والحسرة، ولا تخلف إلا الكره والحقد والضغينة.

إن إيثار الاعتدال في الحياة البشرية عامة، يترك آثارًا إيجابية كثيرة غير ما ذكرنا، مثل شيوع التعاون، ورسوخ معالم الإخاء، والاحترام المتبادل، والتفاهم، والتجاوز عن الزلات، وتغليب حسن النية، والألفة مما يحمي المجتمع من كثيرٍ من الأمراض والآفات السلوكية.

ومن أجل هذا كانت الحاجة ماسة لتوعية اجتماعية تغرس قيمة الاعتدال والتوسط في نفوس الناس، ومن أجل تأصيل مبدأ التوازن وتفضيل السلامة بين أبناء المجتمع، بدلاً من إثارة نوازع حب الانتقام، والتصلب وعدم التنازل عن أي حقٍّ للآخرين، وبدلاً من التعامل مع الآخرين بمكر وخديعة وكيد وشماتة، خاصة إذا بدرت منهم إساءة، أو تصرفوا تصرفًا خاطئًا، تتحرك بسببه الضغائن، وتشتعل نار العداوة في صدورٍ لم تعتد إطفاءها باللين، وكظم غيظها بالحسنى والتماس الأعذار..

www.mtenback.com

لا إفراط ولا تفريط:

الأصل اللغوي في الإفراط هو التقدم والسبق، والفارط المتقدم السابق، يقال فَرَطَ يَفرُطُ فُرُوطًا، قال أعرابي للحسن البصري: يا أبا سعيد، علّمني دينًا وَسُوطًا، لا ذاهبًا فَروُطا، ولا ساقطًا سَقُوطًا. أي دينًا متوسطًا لا مُتقدمًا بالغلو، ولا متأخرًا بالتلوّ، قال له الحسن: أحسنت يا أعرابي، خير الأمور أوساطها [٣٩].

ويقال: فرطت القوم، وأنا أفرِطُهم فَرْطًا إذا تقدمتهم، والفارط والفَرَطُ: المتقدم إلى الماء، ومنه قول النبي ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض»[٤٠]، أي أنا متقدمكم إليه.

وفي التنزيل: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[٤١]، أي مخافة أن تصيروا إلى حال الندامة للتفريط في أمر الله، والطريق الذي هو طريق الله الذي دعا إليه، وهو توحيد الله والإقرار بنبوة رسوله ﷺ قال صَخْرُ الغَيّ[٤٢]:

ذَلِكَ بَزّي، فَلَنْ أُفَرِّطَهُ ... أَخَافُ أَنْ يُنْجِزُوا الَّذِي وَعَدُوا

وفرط عليه في القول يفرُط: أسرف وتقدّم، وفي التنزيل: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[٤٣]، والفرط: الظلم والاعتداء، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٤٤]،

---

[٣٩] ابن منظور: لسان العرب ج٧، ص٣٦٦. والميداني: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، (١٣٧٤هـ)، رقم ١٢٩٤.

[٤٠] البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح، المطبعة السلفية، مصر، (١٣٨٠هـ)، كتاب الرقائق برقم (٦٤٢٦)، وصحيح مسلم بشرح النووي، دار الخير، بيروت، (١٩٩٩م)، الفضائل برقم (٢٢٨٩).

[٤١] سورة الزمر: الآية ٥٦.

[٤٢] ابن منظور: لسان العرب، ج٧،ص٣٧٠؛ والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس، المطبعة الحكومية، الكويت، (١٩٦٥م)، ج١٩، ص٥٣٢ مادة (فرط) فيهما.

[٤٣] سورة طه: الآية ٤٥.

[٤٤] سورة الكهف: الآية ٢٨.

www.mtenback.com

أي متروكًا ترك فيه الطاعة وغفل عنها، ويقال: إياك والفُرُط في الأمر، قال الزجاج: أي كان أمره التفريط، وهو تقديم العجز.

وفي حديث عليّ رضي الله عنه: «لا يُرى الجاهل إلا مُفْرِطًا أو مُفَرِّطًا»، هو بالتخفيف المسرف في العمل، وبالتشديد المقصر فيه[٤٥].

وفي حديث أم سلمة: قالت لعائشة: «إن رسول الله نهاك عن الفُرْطة في الدين»، يعني السبق والتقدم ومجاوزة الحد[٤٦].

والإفراط: إعجال الشيء قبل التثبت، يقال: أفرط فلان في أمره أي عَجِل فيه، وأفرط عليه: حمله فوق ما يطيق، وكل شيءٍ جاوز قدره فهو مُفْرِط، والإفراط في الشيء: الزيادة فيه على ما أُمرت.

والفَرَطُ: الأمر الذي يفرّط فيه صاحبه، أي يضيّع[٤٧].

فالإفراط مجاوزة الحد في الشيء والإسراف فيه قولاً كان أم فعلاً، والتفريط التضييع والإهمال والتهاون، وكلاهما طبعٌ مذموم، إذا غلب على تصرفات صاحبه وسلوكه جاء بنتائج غير حميدة، فالإفراط تجاوزٌ وغلوٌّ يؤدي إلى رذائل نفسية واجتماعية، مثل الظلم والاعتداء والإفساد في الأرض، بينما ينتج عن التفريط تقصير وإهمال وتضييع للحقوق، وتترتب عليه آثار أخلاقية ذميمة، مثل الإخلاف بالوعد، وتضييع الأمانة، والتهاون في التربية، وعدم إتقان العمل.

ونحن عند التعامل مع الآخرين علينا مراعاة المبادئ الإنسانية القويمة، والتخلق بالأخلاق والقيم الفاضلة، والأخذ بعين الاعتبار ظروف الآخرين الذين نتعامل معهم

---

[٤٥] ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٣/٤٣٥.

[٤٦] المصدر السابق، ٣/٤٣٤ .

[٤٧] انظر: ابن منظور: لسان العرب ٧/٣٦٦-٣٧٠.

www.mtenback.com

وأحوالهم، فنتصرف مع كل شخص بحسب ما يناسبه، ويوافق ميوله ورغباته وأخلاقه. فالناس أنماطٌ مختلفة، وطبائعهم ليست واحدة، فمنهم الهادئ الرزين، ومنهم المتهور سريع الغضب، ومنهم العالم، ومنهم الجاهل الذي لا يفقه شيئًا، ومنهم القوي والكبير، ومنهم الضعيف والصغير، والرجل والمرأة، والغني، والفقير ... إلخ.

كذلك ينبغي عدم الانصراف عن الدنيا بالكلية في إفراط ظاهر يدعو إلى الرهبانية والتبتل والعزلة، وعدم التكالب عليها، والشره في طلب ملذاتها، بل يسلك في ذلك مسلكًا وسطًا يأخذ فيه من خيرها دون أن ينسى أمر آخرته أو يفرط فيه، وقد أدركت العرب بطبائعها وأخلاقها هذه الحالات ومدحت بالاعتدال في كل شيء كما قال جرير يمدح ابن الوليد[٤٨]:

فَلاَ هُو مِنَ الدُّنْيَا مُضَيِّعٌ نَصِيْبَهُ وَلاَ عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهْ

وإذا كلّف امرؤٌ رجلاً بعملٍ ما، فإن كان مقبولاً معتدلاً أنجزه بإتقان ورضا، وإن كان مرهقًا فوق طاقته، فلن يستطيع إنجازه وسيؤدي إلى التعثر وإهدار الجهد والوقت دون فائدة، فضلاً عن التشاحن والتباغض. ولذا قيل: «إذا أردت أن تُطاع فسلْ ما يُستطاع»[٤٩].

وقال عامر بن خالد ليزيد بن الصَّعِق[٥٠]:

إِنَّكِ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِق سَاءَكِ مَا سَرَّكِ مِنِّي مِنْ خُلُقِ

---

[٤٨] انظر: جرير بن عطية، ديوانه، شرح: تاج الدين شلق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ) ص٤٨٠.

[٤٩] الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال (٨٨/١).

[٥٠] ابن قتيبة، عبدالله مسلم: عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت)، ج٣، ص١٢١.

www.mtenback.com

والتأني في إتمام العمل، والاعتدال في أدائه، قد يصل بصاحبه إلى غايته، وعلى العكس من ذلك الاستعجال في القيام به، فإنه لن يتقنه، ولن يتمه كما يجب، بل سيعود ذلك بالمضرة على الطرفين، والعرب تقول: «رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا»[٥١]، يريدون أن الرجل قد يعجل في حاجته فتتأخر أو تبطل بذلك. وقد قابل الشاعر بين العجلة والتأني في قوله[٥٢]:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُوْنُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

أيام العرب والاعتدال:

هذه الوسطية في الحياة ينشدها كل مجتمع في سلوك أبنائه، لينعم بحياة مستقرة بعيدة عن المنغصات التي تنتج عن الغلو والإفراط والتفريط؛ وقد ترك العرب صورًا كثيرة من تجاربهم في الحياة فعبروا عن واقع الحال الذي رأوه أو عاشوه، ونظروا إليها بعد طول تفكير وفحص للأمور فقد كانت حياتهم في جاهليتهم قائمة على ضرب من التحديث يمثلها قول زهير بن أبي سلمى المشهور[٥٣]:

جَرِيءٌ مَتَى يَظْلِمْ يُعَاقَبْ بِظُلْمِهِ ... سَرِيعًا وَإِلاَّ يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ ... يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَ يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ

ومثله قول عمرو بن كلثوم[٥٤]:

وَأَنَّا المَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ... وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينَا

---

[٥١] الميداني: مجمع الأمثال رقم ١٥٥٥.

[٥٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١٢١/٣).

[٥٣] قميحة مفيد، شرح المعلقات العشر، دار و مكتبة الهلال، بيروت ط١ ١٤٠٧، ص١٥٧-١٦٠.

[٥٤] المصدر السابق، ص٢٤٧-٢٤٨.

www.mtenback.com

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَمْسَى عَلَيْهَا ... وَنَبْطِشُ حِيْنَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا
بُغَاةً ظَالِمِينَ وما ظُلِمْنَا ... ولكنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِيْنَا
إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

وهما قولان يعبران عن مبلغ التحدي الذي يواجه العربي في الجاهلية، ولذا كانا بعيدين عن محاور الوسطية والاعتدال إلا أن وجود أفراد من المجتمع الجاهلي تجاوزوا الدعوة إلى الوسط والاعتدال لا يعني أن المجتمع العربي في جاهليته قد افتقد الاعتدال والاتزان، بل كان فيه مصلحون ودعاة إلى التعقل والوسطية، ولكن أصواتهم لم تكن تُسمع دائمًا لغلبة العصبية والعداوة في كثيرٍ من الأحيان[٥٥].

وقد ظهر في العرب من يدعو إلى الاعتدال وإلى كل خلقٍ فاضلٍ، وخصلة حميدة، يترتب عليها الخير والصلاح، كزيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن الصلت، والأحنف بن قيس، وغيرهم كثير.

يقول الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم[٥٦]:

أَمُرُّ عَلَى الْبَاغِي وَيَغْلُظُ جَانِبِي ... وَذُو القَصْدِ أَحْلَولِي لَهُ وَأَلِيْنُ

وكان عبد المطلب بن هاشم من أعقل زعماء العرب، ونهج نهجًا وسطًا في تعامله مع القبائل، وحتى مع أعدائه، وكان يقدر الأمور، ويختار الأيسر، ويتضح ذلك في موقفه من غزو أبرهة لمكة المكرمة، فقد استقر رأيه بعد تفكير وتقدير على خروج أهل مكة إلى الشعاب، وعدم مواجهة جيش أبرهة اللجب، فقد رأى في المواجهة فناءً لقومه، فآثر سلامة الناس، وخروجهم، وترك أمر البيت لرب البيت، فهو وحده القادر على حمايته في مثل هذه المواقف.

---

[٥٥] انظر: وكاك أحمد بن عبدالله: الوسطية والاعتدال نموذج العدل وسط بين الظلم والمحاباة، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٣٩٢، (١٤١٩هـ)، ص٥٤-٥٥.

[٥٦] قيس بن الخطيم، بن عدي: ديوان قيس بن الخطيم: دار بيروت، ص١٦٢.

www.mtenback.com

ومن أولئك النفر القليل الذين لم يتمادوا، ولم ينحرفوا، بل وقفوا في مواجهة الغلو والانحراف زيد بن عمرو الذي رفض عبادة الأصنام، وأكْل ما يُذبح على النصب، وغير ذلك من الانحرافات الجاهلية. وكان يقول لقومه: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»، وكان يقول أيضًا: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟!! إنكارًا لذلك وإعظامًا له»[٥٧].

ومما جاء على لسانه شعرًا ما يلي[٥٨]:

أَرَبًّا وَاحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِيْنُ إِذَا تَقَاسَمتِ الأُمُورُ

عَزَلتُ اللَّاتَ وَالعُزَّى جَمِيْعًا ... كَذلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصبُورُ

فَلا عُزّى أَدِينُ وَلا ابْنَتَيْهَا ... وَلاَ صَنَمَيْ بَنِي عَمْرٍو أَزُورُ

وَلَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي ... لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الغَفُوْرُ

فَتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمُ احْفَظُوهَا ... مَتَى مَا تَحْفَظُوهَا لا تَبُورُ

تَرَى الأَبْرَارَ دَارَهُمُ جِنَانٌ ... وَلِلْكُفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيْرُ

وَخِزْيٌ فِي الحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوْتُوا ... يُلاقُوا مَا تَضِيْقُ بِهِ الصُّدُورُ

ولهذا كان زيد من أتباع الحنيفية السمحة، إذ كان يقول: «اللهم إني أشهدُ أني على دين إبراهيم»[٥٩].

---

[٥٧] البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم (٣٨٢٦)، انظر: ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ)، ج٧، ص١٧٦.

[٥٨] انظر: ابن هشام عبد الملك، السيرة النبوية، دار الفكر، القاهرة (٢٤٣/١). وينسب البيتان الأول والرابع لأمية بن أبي الصلت، ديوانه، مكتبة الحياة، بيروت، ص٤٦.

[٥٩] البخاري: الجامع الصحيح، حديث رقم (٣٨٢٧)، انظر: الفتح (١٧٦/٧).

www.mtenback.com

والحنيفية التي هي مذهب العرب الأصيل قبل الإسلام تقوم في مجمل مبادئها وقيمها على الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف.

يقول عبد الحميد إبراهيم: «الوسطية العربية لا أعيدها إلى الإسلام فقط، وإنما أجد بذورها في مرحلة ما قبل الإسلام في الطبيعة العربية وفي الواقع العربي، الطبيعة العربية قدمت لنا الشيء وما يجاوره: الليل والنهار مثلاً، تقدم لنا الليل والنهار والقيلولة والحر الشديد، ثم ينصرف كل ذلك ويأتي الليل بنسائمه التي تستل الضغائن، وتكون هناك في صورة مختلفة عن النهار، وتقدم لنا الطبيعة العربية المطر والقحل، الخصب والفقر، نجد فيها الصحراء، ومن داخل الصحراء تجد واحات كثيرة وأودية، فيتجاور في تلك البيئة الشيئان، الشيء وما يجاوره، لقد غرس هذا في نفسية العربي الإيمان بالواقع، وبأنه لا توجد وجهة نظر واحدة في الحياة، وإنما هناك بدائل أخرى قد يكون في الصحراء ويحس بالجوع والظمأ، ويكاد يموت، ولكنه يجد فجأة ظل نخلة فيمسك عليه الحياة، أو يجد خيمة فيقترب منها فيرحب به أهلها ويقدمون إليه الطعام فترد عليه الحياة، هذه الطبيعة غرست في نفس العربي الشيء وما يجاوره، وغرست فيه الإيمان بأن يتوقع شيئًا آخر يتدخل في الوقت المناسب يغير من مصائره»[٦٠].

ومن أقوالهم التي تدعو إلى الوسطية، قول شاعرهم[٦١]:

اقْنَعْ بِأَيْسَرِ رِزْقٍ أَنْتَ نَائِلُهُ ... واحْذَرْ ولاَ تَتَعَرَّضْ لِلإِرَادَاتِ

فَمَا صَفَا الْبَحْرُ إِلاَّ وَهْوَ مُنتَقَصٌ ... وَلاَ تَعَكَّرَ إِلاَّ فِي الزِّيَادَاتِ

---

[٦٠] عبدالحميد إبراهيم: الوسطية الإسلامية، تعريف وتطبيق، بحث في كتاب جوانب من الحضارة الإسلامية لنخبة من المفكرين، ص ١٨. منشورات جامعة اليرموك، مركز الدراسات الإسلامية، إربد، الأردن.

[٦١] الأبشيهي: المستطرف ج١، ص٢٣٥.

www.mtenback.com

وقيل: إن العرب في الجاهلية كانوا لا يأكلون دسمًا في أيام حجهم، ويكتفون باليسير من الطعام[٦٢]، وذلك توسطًا واعتدالاً حتى لا تصيبهم الأمراض، ولا تثقل هممهم عن القيام بالواجبات وتنفيذ المهمات.

ومن أقوال شعرائهم في التوسط والاعتدال قول الشاعر[٦٣]:

أَنْتُمْ أَوْسَطُ حَيٍّ عُلِموا بِصَغِيْرِ الأَمْرِ أَوْ إِحْدَى الكُبَر

ومالك بن حزيم الهمداني يحب التوسط في كل شيء، حتى داره يحبها أن تكون وسط قومه ليعيش بينهم يحس بما يحسون ولا يحبها عند الثنايا حيث الهواء العليل والمنظر الحسن[٦٤]:

إِذَا حَلَّ قَوْمِي كُنْتُ أَوْسَطَ دَارِهِمْ وَلاَ أَبْتَغِي عِنْدَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعَا

وهذه دعوات صريحة للتوسط والاعتدال في كل الأمور.

مما سبق يتضح لنا وجود تيار عربي يدعو إلى الوسطية والاعتدال قبل الإسلام، ولكنه كان يواجه بتيارٍ أقوى من الغلو والانحراف، فبينما كان أصحاب الاعتدال فرادى ضعفاء لا تجمعهم قوة، ولا توحدهم دولة، نجد أصحاب التيار الآخر أقوياء لهم السلطة والجاه. وما ذلك إلا لغلبة الهوى في ذلك الوقت، وتحكم العصبية القبلية، مما شكل عقبة كؤودًا في وجه الدعوات الخافتة للاعتدال والوسطية، وعدم الغلو والانحراف.

---

[٦٢] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٢٥، تفسير سورة الأعراف آية ٣١.

[٦٣] العجلوني: كشف الخفاء ٣٩١/١.

[٦٤] الأصمعي، عبد الملك بن قريب: ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، بيروت، ط٥، ص٦٧.

www.mtenback.com

الإسلام ودعوته للوسطية:

مما يتميز به الإسلام وسطيته واعتداله، بمعنى الخيرية والأفضلية، بل إن منهجه قائمٌ على هذه الصفة في كل مجالاته، وهي شعاره ودثاره، وأتباعه هم الأمة الوسط، وقد عبر الله سبحانه عن ذلك بقوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[٦٥]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٦٦].

والرسول ﷺ وسط قومه، أي خيرهم وأفضلهم، وسيرته وسنته كلها قائمة على معنى الوسطية والاعتدال في كل النواحي والمجالات، من عبادات، وشعائر، ومعاملات، وحكم، وقضاء، وحدود، ومعاهدات، وحروب.. وغير ذلك[٦٧].

ومن فضائل الإسلام أنه يدعو إلى الاقتصاد والاعتدال في التكاليف والأحكام، وذلك بنصوص شرعية صحيحة، لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٦٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٦٩].

ثم إن المنهج الذي جاء به القرآن الكريم للحياة البشرية قائم على الاعتدال في كل ما دعا إليه، وأمر به وحث عليه، وهو الحكم العدل الذي لو تمسك به الناس سلموا وسعدوا ونجوا في الدنيا والآخرة، ولذا نجد للوسطية أثرًا في كل حكم من أحكامه، وفي كل آية من آياته، ونلمس معانيها في مواضع لا تكاد تُحصى لكثرتها،

---

[٦٥] سورة الفتح: الآية ٢.

[٦٦] سورة الشورى: الآية ٥٢.

[٦٧] انظر: ابن حميد، صالح بن عبد الله: الوسطية في الإسلام، المجلة العربية، رمضان ١٤١٥ هـ.

[٦٨] سورة البقرة: الآية ١٨٥.

[٦٩] سورة النساء: الآية ٢٨.

www.mtenback.com

وتنوعها، وتكررها في المضامين المختلفة، من أوامرَ ونواهٍ، ومواعظ وزواجر، وأحكام وأخبار، ودعاء وطلب، وفقه وقصص، وتذكير وبيان.

وإنها لوسطية ناصعةٌ تشرق مع كل حرف في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٧٠).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٧١).

وإنها لدعوةٌ إلى الاعتدال ونبذ الغلو والتطرف في مواجهة الآخرين حتى يتم تبليغ الرسالة على خير وجه، فتؤتي أكلها دون إثارة أحقاد، وبعث ضغائن تمحو جهد الداعية، وتؤدي إلى ردة فعل غير مرغوبة.

ولقد سيطرت فكرة الانفصام بين الروح والجسد على كثير من العقائد والفلسفات، وانبعث من هذا الانفصام جنوح شديد إلى أحدهما على حساب الآخر، فظهر اتجاهان بارزان: أحدهما أغرق وبالغ في حق الجسم والآخر على النقيض من ذلك كان كل اهتمامه في حق الروح(٧٢).

فالذين أصبحت القيم المادية عندهم محور الحياة حوّلوا الإنسان إلى آلة تتحرك وقدّسوا المحسوسات، وغرقوا في الشهوات، و لم يروا غير المنافع الدنيوية العاجلة، وهذا

---

(٧٠) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٧١) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٧٢) الزيد، زيد بن عبدالكريم: الوسطية في الإسلام، تعريف وتطبيق، الرياض، ط٢، (١٤١٢هـ)، دار العاصمة، ص ٣٨.

www.mtenback.com

منهج النفعية المادية الذي تمثل في المادية الماركسية أو الرأسمالية المادية[٧٣]، والذين رأوا الجسد سجنًا للروح ابتدعوا رهبانية قاسية حرمت النفس من ملذات الحياة، وعزلتها عن الحياة وكبتت غرائزها كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾[٧٤].

وجاء الإسلام ليصحح المسألة ويهدي الناس إلى أقوم السبل، وأعدل الطرق - طريق الوسط بين عبادة المادة ونسيان حق الروح وبين إرهاق الروح ونسيان حق البدن ليعطي كل ذي حق حقه وفقًا لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٧٥].

وجاءت سيرة الرسول ﷺ نموذجًا في الاعتدال، وثبت أنه ﷺ: ما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا»[٧٦] وقد روى أنس رضي الله عنه أنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها، وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي

---

[٧٣] انظر عمر الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٣٦٤.

[٧٤] سورة الحديد: الآية ٢٧.

[٧٥] الزيد: الوسطية في الإسلام، ص٤٥، والآية ٧٧ من سورة القصص.

[٧٦] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأدب، رقم ٦١٢٦، ومسلم: الصحيح ١٥/ ٨٣.

www.mtenback.com

وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٧٧] وفي حديث آخر قال ﷺ: «وفي بُضْع أحدكم صدقة» قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[٧٨].

هذه وسطية الإسلام فلا إيغال في الروح ولا نسيان لحق الجسم بل وسطية واعتدال لا تحرم على النفس الطيبات، ولا تطلق يدها في الملذات فما «ذهب إليه الإسلام من الجمع بين حق الروح وهو العبادة، وحق البدن وهو متطلباته هو ما يوافق الفطرة السليمة»[٧٩].

وتعد الوسطية في كل الأمور من أهم مزايا المنهج الإسلامي، والأمة الإسلامية هي الأمة الوسط، بمعنى استغلال جميع طاقاتها وجهودها في البناء والعمران المادي والتربوي والعلمي والثقافي من غير إفراط ولا تفريط، فهي تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا، وبين العقل والقوة، وبين المثالية والواقعية، وبين الروحانية والمادية، وغيرها.

يقول الشيخ محمد عبده: «لقد ظهر الإسلام لا روحيًا مجردًا، ولا جسديًا جامدًا، بل إنسانيًا وسطًا بين ذلك يأخذ من كل بنصيب، فتوافرت له من ملاءمة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره.. ولذلك سمي دين الفطرة»[٨٠].

ويقول هاملتون جب: «أؤمن بأن الإسلام لا تزال له رسالة يؤديها إلى الإنسانية جمعاء، إذ يقف وسطًا بين الشرق والغرب، وإنه أثبت أكثر مما أثبت أي نظامٍ سواه

---

[٧٧] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب النكاح ٩/١٠٤ برقم ٥٠٦٣.

[٧٨] مسلم: الصحيح، كتاب الزكاة برقم ١٠٠٦.

[٧٩] الزيد: الوسطية في الإسلام، ص٥٠ وانظر ما سيأتي عن الاعتدال في العبادات.

[٨٠] القراوي، مطلق: المنهج الإسلامي، الوعي الإسلامي، العدد ٣٩١، ربيع الأول، (١٤١٩هـ)، ص٤٩.

www.mtenback.com

مقدرة على التوفيق والتأليف بين الأجناس المختلفة، فإذا لم يكن بدٌّ من وسيط يسوي بين الشرق والغرب من نزاعٍ وخصام، فهذا الوسيط هو الإسلام»[٨١].

أقوال جامعة في الوسطية:

حازت الوسطية مكانةً بارزةً في فكر العلماء ومآثرهم، وكلام الحكماء ولطائفهم، ونالت اهتمامًا مميزًا انعكس سلوكًا وطريقة حياة لدى كثيرين منهم، فاتضح ذلك في مناهجهم وأقوالهم وطرقهم في التعليم والتلقين.

كما كان للوسطية نصيبٌ مهمٌّ في أقوال الشعراء، حيث زينوا بالدعوة إليها قصائدهم، وعبروا عن معانيها أحسن تعبير.

وبالتأمل في أقوال كثيرٍ من العلماء والحكماء والشعراء ندرك أهمية الوسطية، ونعرف كثيرًا من فوائدها، مثل قولهم : «خير الأمور الوسط، وشر الأمور الشطط»[٨٢].

ويعني بالشطط التطرف والمغالاة، وهي تجلب الشر حيثما كانت، وأينما وقعت.

وقد تناول العرب هذا المعنى العام ونظروا إليه من منظور الحياة الاجتماعية وكيف يؤثر ذلك في حياة البشر ويغير أحوال الناس ويصنفهم على مراتب ودرجات قد لايكون لهم فيها خيار مثل قول أبي المعتمر السلمي: «الناس ثلاثة أصناف: أغنياء وفقراء وأوساط، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة، والأغنياء سُكارى إلا من عصمه الله بتوقُّع الغِيَر، وأكثر الخير مع أكثر الأوساط، وأكثر الشر مع الفقراء والأغنياء،لسخف الفقر وبطر الغنى»[٨٣] إذن حتى في المال فإن الفضيلة مع أهل الوسط فيه.

---

[٨١] العمار، حمد: أساليب الدعوة الإسلامية، دار إشبيلية، الرياض ط٣، (١٤١٨هـ)، ص١٨٩.

[٨٢] ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣٣٤، مادة (شطط)، والشطط: مجاوزة القدرة في بيع أو طلب واحتكام أو غير ذلك، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: لها مهر مثلها ولا وكس ولا شطط أي لا نقصان ولا زيادة. وفي مجمع الأمثال للميداني «خير الأمور أوساطها»، ج١، ص٢٤٣.

[٨٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، (١/٤٥٢-٤٥٣).

www.mtenback.com

قال ابن زيدون في مدح أبي الحزم بن جهور[٨٤]:

سَجِيَّتُهُ الحُسْنَى، وَشِيمَتُهُ الرِّضَا وَسِيرَتُهُ الْمُثْلَى، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

ومن أمثال العرب في هذا: «بين المُمِخّة والعجْفَاء»[٨٥]. والممخة: هي الدابة (الشاة أو الناقة) التي سمنت، والعجفاء: الهزيلة، ومعنى المثل: وسط بين الغنيّ والفقير، فهو خير من التطرف حتى في الثروة التي يسعى لكسبها كل الناس.

ومن أمثالهم أيضًا «لا خير في السرف ولاسرف في الخير»[٨٦].

والغنى والفقر طرفان أوسطهما الذي ملك الكفاف، وهو المطمئن الذي لا يخالط قلبه هم جمع المال لقلته، أو هم تخزينه وحمايته لكثرته فحياته وسط واعتدال، وهذا يضفي عليه سعادة واتزانًا يفتقدهما الأغنياء والفقراء سويًا وقد قيل للإسكندر: أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الأمور، فإن الزيادةعيب والنقصان عجز[٨٧].

وهما كذلك لأن الزيادة طغيان لا يليق بمن ملك زمام الأمور، وتحكم في الناس، والنقصان إهمالٌ يزول معه العدل ويحل مكانه الظلم ومن جميل القول: «ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة، كالشجاع إذا زاد على الشجاعة نُسب إلى التهور والسخي إذا زاد على حد السخاء نسب إلى التبذير»[٨٨]، وكل فضيلة فإنها وسط بين نقيصتين وهكذا كل فضيلة، فإنها وسط بين نقيصتين.

---

[٨٤] ابن زيدون، أحمد بن عبد الله، ديوان ابن زيدون، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، (١٤٠٥/١٩٨٤م)، ص٢١١.

[٨٥] الميداني، مجمع الأمثال، ج١، ص٩٢.

[٨٦] المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط٣٦، (١٩٩٧م)، ص٩٨٥.

[٨٧] الدجوي، أحمد سعيد: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، ص ١٠٩.

[٨٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وأحسن الأعمال أن تأتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا نقصان، فهي أوسط الأحوال فيها وأعدلها، لأنه لم يكن تقصير فيها فتندم، ولا تكثير فتعجز[٨٩].

وقال آخر: إياك ومفارقة الاعتدال، فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد.

وقال بعض العلماء: إن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، ولست تجد فساداً إلا وسببه الخروج من حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان[٩٠].

وممّا قيل في فضل الوسطية والاعتدال[٩١]:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ... نَجَاةٌ ولا تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلاَ صَعْبا

وهذا بيان رائع لحقيقة الاعتدال، حيث يُعد قارب النجاة السهل الذي يجنبك الوعر والصعب، ويسير بك نحو بر الأمان. وخاصة إذا كثر الغلو، وشاعت الفتن في المجتمعات، وفي حديث ابن عباس: «كلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا مانعرف أي شدائد الأمور وسهولها» والمراد ترك المبالاة بالأشياء والاحتراز في القول والعمل[٩٢].

وقال سالم بن أبي وابصة[٩٣]:

عَلَيْكَ بِالقَصْدِ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ ... إنّ التّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ ... أَحْمِي الذِّمَارَ وَتَرمِيْنِي بِهِ الْحَدَقُ

---

[٨٩] المصدر السابق، ص١١٠.

[٩٠] المصدر السابق نفسه.

[٩١] الجاحظ: البيان والتبيين، (١/٢٥٥).

[٩٢] الزبيدي: تاج العروس، ج ٣ ص١٩٦، مادة (صعب).

[٩٣] الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ١/٤١٧.

www.mtenback.com

فَمَا زَلَقْتُ وَلاَ أَبْدَيْتُ فَاحِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلَقُوا

وقال عروة بن أذينة[٩٤]:

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعْيِينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدتُ أَتَانِي لَيْسَ يُعْيِينِي

وقال أبو تمام[٩٥]:

كَانَت هِيَ الوَسَطَ المَمْنُوعَ فَاسْتَلَبَتْ مَا حَوْلَهَا الْخَيْلُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا

هذه وغيرها كثير جاء ليكون نبراسًا لمن أراد الاهتداء إلى خير الطرق في الحياة، والسيرعلى أيسر المناهج والسبل، حيث الوسطية التي لا يترتب عليها إلا كل خير.

الاعتدال في الكلام:

ومن الأمور التي يجب الاعتدال فيها الكلام، وذلك لأن حتف المرء تحت لسانه، ورب كلمة أدت إلى إشعال حرب، ولذلك جاءت الدعوى للتوسط في الكلام، والاعتدال فيه، والعدل فيه ألا يتجاوز المرء في مدح،ولا يُسرف في ذمّ، لأن التجاوز في المدح مَلَقٌ يصدر عن مهانة، والسرفُ في الذمّ انتقامٌ يصدر عن شرّ، وكلاهما شينٌ وإن سلما من الكَذب[٩٦].

ومن آداب الكلام التجمل في الطلب، لأنك إذا كنت تطلب حاجة من امرئٍ ما فسوء العرض في طلبك قد يؤدي إلى عدم تحقيقه والإلحاح واللجاجة قد تؤدي إلى منع الطلب، وتبعد صاحبها عن تحقيق مطلبه وفي هذا قال دوقلة المنبجي[٩٧]:

أَجْمِلْ إِذَا حَاوَلْتَ فِي طَلَبٍ فَالجِدُّ يُغْنِي عَنْكَ لاَ الَجَدُّ

---

[٩٤] ديوان عروة بن أذينة، تحقيق: يحيى الجبوري، بغداد، (١٩٧٠م)، ص١١٦.

[٩٥] أبوتمام: ديوانه، ص١٩٢.

[٩٦] انظر: الدجوي، فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، ص١١٠.

[٩٧] شوشة، فاروق: أحلى عشرين قصيدة حب، مكتبة مدبولي، القاهرة، دار العودة، بيروت، (١٩٧٣).

www.mtenback.com

التوسط في العتاب:

والتوسط في العتاب مطلوب في التعامل مع الأهل والأصحاب، لأن كثرته سبب للقطيعة، وتركه دليل على قلة الاكتراث بأمر الصديق، وقد قيل: علة المعاداة، قلة المبالاة بل تتوسط حالتا تركه وعتابه، فيسامح بالمتاركة، ويستصلح بالمعاتبة فإن المسامحة والاستصلاح إذا اجتمعتا لم يلبث معهما نفور، ولم يبق معهما وجد، وقد قال بعض الحكماء: لا تكثر في معاتبة إخوانك، فيهون عليهم سخطك. وقال منصور النمري:

أَقْلِلْ عِتَابَ مَنِ اسْتَرَبْتَ بِوُدِّهِ ... لَيْسَتْ تُنَالُ مَوَدَّةٌ بِعِتَابِ

وقال بشار بن برد[٩٨]:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيْقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لاَ تُعَاتِبُهْ

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

الوسطية والمرأة:

كانت العرب تستحسن الاعتدال في قوام المرأة، فلا طول مخل ولا قصر معيب، قال دوقلة المنبجي[٩٩]:

مَا عَابَهَا طُوْلٌ وَلاَ قِصَرُ ... فِي خَلْقِهَا فَقَوَامُهَا قَصْدُ

والمرأة جزء حيوي من المجتمع الإنساني تميل بطبعها للانضواء تحت كنف الرجل حيث تعيش محبوبة مصانة، أو يفترض أن تكون كذلك، وقد كانت العرب في الجاهلية تعيش تحت وطأة هاجس حماية المرأة والمحافظة عليها وعلى كرامتها، ولاينكر المنصف

---

[٩٨] ديوان بشار بن برد: جمعه السيد بدرالدين العلوي، دار الثقافة بيروت (١٤٠٣/١٩٨٣)م، ص ٤٤.

[٩٩] شوشة، فاروق: أحلى عشرين قصيدة حب، ص ١٥٩.

www.mtenback.com

أن حال المرأة فيهم كان أفضل من حالها لدى الأمم الأخرى، والدليل أن العرب استنارت برأيها في أحلك الظروف، وأدقّ المعاملات.

ومن المعروف عن قبيلة قريش تميزها بمعاملة النساء، وأنها كانت ترفع من شأنهن لدرجة ظهور أسماء مشهورة في الوسط النسائي القرشي مثل خديجة بنت خويلد، وهند بنت عتبة، وصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنهن، وغيرهن.

وجاء الإسلام ليجعل للمرأة مكانها الصحيح من المجتمع ، فشرع لها حقوقًا، ووضع عليها واجبات بجانب الرجل، فهي تكمله وتشاركه الحياة بجميع مجالاتها، بالقدر الذي تؤهلها له طبيعتها التي خلقها الله عليها.

وقد ذكرها الله في كتابه جنبًا إلى جنبٍ مع الرجل، في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[100].

واشتهرت سور عدة في القرآن الكريم بعرض قضايا وأحكام النساء، مثل سور النساء، والنور، والأحزاب، والطلاق .. وغيرها.

كما جاء التشريع الإسلامي ليضع أحكامًا تتسم بالاعتدال والوسطية في التعامل مع المرأة، فأبطل كل ما فيه مغالاة في هضم حقها، أو حبسها جبرًا بغير سبب، أو إهمالها وابتذالها وإهانتها، فكرمها وصانها وجعلها مثالاً للعفاف والطهارة والنقاء.

---

[100] سورة الأحزاب: الآية ٣٥.

www.mtenback.com

يقول محمد الغزالي: والوسطية الإسلامية لها منطق آخر، ومسلك أجدى وأرشد، لا بأس أن تقاتل المرأة مدافعة عن بيتها ودينها وشرفها، إذا اضطرت لذلك في حالة الدفاع، ولا معنى لتجنيدها في حرب هجومية.

ولا بأس أن تعمل المرأة في أي حرفة أو مهنة بعد توفير الضمانات الشرعية التي تصون عرضها من الهمس القريب أو البعيد، لكن هناك قبل هذا كله، أو بعد هذا كله أن البيوت الخالية من رباتها تنشئ أسرًا على الورق، وتعرض مستقبل الأطفال لضياع مؤكد.

والعوج الذي يلاحظ في السلوك العام منشؤه الأول فراغ البيوت من المرأة المسؤولة عن بيتها.. الحانية على أولادها.

ونحن لا نجنح إلى طرف من الطرفين المتباعدين، هذا يسجن المرأة في البيت، وهذا يُطلقها في الشارع.. لقد أغنانا الإسلام عن تجارب تخطئ وتصيب، وتحلو وتُمرّ، وهدانا صراطًا مستقيمًا.. يمنع المرأة من حق الحياة والعمل في الإطار الشرعي المناسب لفطرتها، لا يقرر حقيقة شرعيةً ولا وضعيةً !!

والذي يتيح لها كل اختلاط، وييسر لها كل احتراف، لا يقرر حقيقة شرعيةً ولا وضعيةً[١٠١].

ومن التفريط دعوة المرأة إلى السفور والتحلل والخروج من المنزل متى شاءت دون ضوابط، والاختلاط بالرجال في المنتديات العامة، أو الإفراط في حبس المرأة في بيتها دون السماح لها بالخروج لأي مهمة صغيرة أو كبيرة، ضرورية أو غير ضرورية.. وقد عبر عن ذلك الشاعر حافظ إبراهيم عندما عاصر دعوة من ينادي بتحرر المرأة تحررًا، ومن ينادي بانغلاقها، فنهج نهجًا وسطًا بين ذلك وقال[١٠٢]:

---

[١٠١] مجلة الاقتصاد الإسلامي: الإمارات العربية، العدد ١٤٦، المحرم (١٤١٤هـ)، ص٧٦-٧٧.

[١٠٢] إبراهيم، حافظ: ديوانه، حققه: أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٩٣٧م) ج١، ص٢٨٢ -٢٨٣.

www.mtenback.com

أَنَا لاَ أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا   بَيْنَ الرِّجَالِ يَجُلْنَ فِي الأَسْوَاقِ
كَلاَّ وَلاَ أَدْعُوكُمُ أَنْ تُسْرِفُوا   فِي الحَجْبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالإِرْهَاقِ
فَتَوَسَّطُوا فِي الحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا   فَالشَّرُّ فِي التَّضْيِيقِ وَالإِطْلاَقِ
رَبُّوا البناتِ عَلَى الفَضِيْلَةِ إِنَّهَا   فِي الْمَوقِفَيْنِ لهنّ خَيْرُ وَثَاقِ

وبالتالي لا يصلح المرأة في المجتمع إلا معاملتها باعتدال ووسطية، دون إفراطٍ يدفعها للتمرد والعصيان والخروج عن الجادة، أو تفريطٍ يجعلها تتسلل إلى حيث السقوط والرذيلة.

الاعتدال في العبادات:

النهج الإسلامي في العبادات هو التوسط بدون غلوٍّ ولا تطرف، وهو أمرٌ يؤيده العقل، ويتفق مع الفطرة البشرية، وقد أقام الإسلام التوازن بين الروح والجسد والعقل، فلم يجعل جانبًا يطغى على آخر:

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[١٠٣].

وفي الحديث: «ليسَ خيركم من تركَ الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه»[١٠٤].

فالاعتدال والتوسط في العبادة أمرٌ يتفق مع الفطرة البشرية التي أودعها الله في عباده، وقد يحس بعض الناس بالقوة والنشاط في العبادة، فيسرفون فيها، ولكن هذه القوة آنية سرعان ما تزول، ثم تتبدل الحال نتيجة للعوارض التي تطرأ على الإنسان

---

[١٠٣] سورة القصص: الآية ٧٧.

[١٠٤] العجلوني: كشف الخفاء ٢/١٦٩ برقم ٢١٣٩.

www.mtenback.com

فتضعفه وتوهن من قواه، لأنه بطبيعته يولد ضعيفًا ثم يشتد ساعده ثم سرعان ما يضعف لكبرٍ أو مرض.

فكان التشدد والغلو منافيًا للطبيعة البشرية في العبادة، ولئن صبر عليها حينًا فإنه سرعان ما يتفلت منها لثقل تبعتها.

وهذا ما علمه رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص عندما استأذنه بصوم الوصال أثناء شبابه، فنهاه النبي، بقوله: «يا عبد الله، ألم أُخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعلْ، صُم وأفطر، وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقًّا، وإن لعينك عليك حقًّا، وإن لزوجك عليك حقًا»[١٠٥].

والاقتصاد في العبادة يجنب المرء مساوئ الغلو، ومساوئ التقصير، وينجيه من عواقب الإفراط والتفريط وأضرارهما، التي ربما تؤدي به إلى الشرك أو الكفر والعياذ بالله.

إن الغلو في العبادة، والتقصير فيها مرضان خطيران، ينشآن عن أمراض نفسية، وقد بين الإسلام هذه الأمراض، وكشف عن عوارضها، فحذر منها، ثم وصف الدواء الناجع لها، فأمر بالاعتدال والتوسط فيها ليبقى الإنسان سويًا معتدلاً ملتزمًا بالأوامر والنواهي التي تتحملها النفوس بطبيعتها ولا تسأم أو تمل منها.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١٠٦].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[١٠٧].

---

[١٠٥] البخاري: الجامع الصحيح ٢٩٩/٩ برقم ٥١٩٩.

[١٠٦] سورة البقرة: الآية ١٨٥.

[١٠٧] سورة النساء: الآية ٢٨.

www.mtenback.com

ولا غرابة في أن الرسول كان يكره التشدد، لأن الذين يتشددون يضيقون على أنفسهم، وعلى الناس، وقد وسع الله عليهم، وعلى الناس أجمعين، وروي عنه أنه قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا[١٠٨].

والمتنطعون هم المتعمقون المغالون في القول والفعل.

وروي عنه أنه قال: «إنّ الدين يُسر، ولن يُشادّ الدّين أحدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٍ من الدلجة»[١٠٩].

ومعنى الحديث: أي استعينوا على طاعة الله بما تطيقه أنفسكم من العبادات في أوقات معينة، دون إرهاقها باستمرارية العبادة ليلاً ونهارًا، فذلك مما يجلب العنت والمشقة، وهذا ينافي مقاصد الشريعة.

ثم إن التنطع في الدين بدعوى شدة الحرص على تعاليمه عملٌ ضارٌ بصاحبه، وبمن يحيط به، فقد نهى القرآن الكريم عن الاستقصاء وكثرة الأسئلة التي لا تفيد كثيرًا، لأنها تفتح أبوابًا مغلقة لا يحبذ الشرع فتحها لأن فيها تكليفًا للنفس فوق طاقتها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ﴾[١١٠].

وقد روي في سبب نزول الآية أن بعضهم سأل النبي ﷺ عن الحج أهو في كل عام؟ فقال ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت، ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم

---

[١٠٨] انظر: صحيح مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون رقم ٦٧٨٤.

[١٠٩] البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين يسر. رقم ٣٩.

[١١٠] سورة المائدة: الآية ١٠١.

www.mtenback.com

لكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»[١١١].

وفي هذا المجال ذكر القرآن الكريم قصة بقرة بني إسرائيل مفصلة، وهي تدور حول كثرة السؤال وما يؤدي إليه من العنت بسبب التشريعات التي فرضت عليهم بسبب أسئلتهم وإلحاحهم، لأنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وأمرهم بذبح بقرة ذات صفات نادرة يصعب العثور عليها، بعد أن كان أول الأمر بإمكانهم ذبح أي بقرة.

وكان علي يقول: «إن للقلوب إقبالاً وإدبارًا، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض»[١١٢].

وله أيضًا: «إن للقلوب شهوةً وإقبالاً وإدبارًا، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمي»[١١٣].

أي لا ينبغي أن تحمل نفسك ما لا تطيق من العمل والعبادة، فإنها إذا أكرهت وأجبرت على ذلك نفرت، وتمردت، وربما يؤدي بها ذلك إلى الضلال والغي والشطط.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن عبد الله بن مطرف أنه كان يتعبد فلا يقتصد، فقال له أبوه: «يا عبدالله، العلم أفضل من العمل، والحسنة بين السيئتين،وخير الأمور أوساطها، وشر السير الحقحقة». أي عليك بالقصد، ولا تحمل على نفسك فتسأم، وإذا حملت على نفسك بالعبادة ما لا تطيق، انقطعت بك عن الدوام على العبادة[١١٤].

---

[١١١] الحديث في مسند أحمد، ١٣/ ٩٩.

[١١٢] محمد عبده: نهج البلاغة، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٩ هـ، ص٧٥١.

[١١٣] المصدر السابق، ص٧٢٢.

[١١٤] ابن منظور: لسان العرب، ٣٤٢/١١، وأمثال الميداني، ٣٢٧/١، والحقحقة شدة السير.

www.mtenback.com

وقيل لابن عباس: أيهما أحب إليك: رجلٌ يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات، أو رجلٌ يقل من الحسنات والسيئات؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئًا. أي لا هذا ولا ذاك، إذ أحدهما أفرط، والآخر فرّط، والخير في السلامة التي هي الاعتدال والتوسط.

والمغالاة في العبادة قد تؤدي إلى الوسوسة التي تصيب كثيرًا من الناس، فيتبع الشيطان فيما يسول له، ويصير ألعوبة بين يديه.

وقد وجب أن تتم العبادة وفقًا للنصوص الصحيحة، على أكمل وجه دون بدع وتأول للنصوص، ودون تضييق على النفس باستحداث أمور لم يكن عليها الأوائل من السلف.

الاعتدال في الميول العاطفية:

فطر الإنسان على عواطف ونوازع كثيرة، مثل المحبة والكره، والمودة والبغض، والفرح والحزن، والغضب والحلم..

فالفرح والمسرات نزعة طبيعية متأصلة، ولكنها إذا تجاوزت حد الاعتدال قد تؤدي إلى البطر والزهو والخيلاء. والحزن والغم إذا ألَمّا بامرئ فتجاوز بهما الاعتدال أيضًا قد يدفعانه إلى الأوهام والأمراض النفسية واليأس من روح الله.

وكذلك البغض والكره في حال الإفراط يقودان إلى القطيعة والعداوة مما يساعد في تفسخ المجتمع، وانهيار دعائمه التي بني عليها وأهم الأسس لقيام المجتمع ونمو صلاته هو الاعتدال في كل شيء.

والتحكم في العواطف تجاه الآخرين، ووزنها بميزان، وتقديرها بحسب الحال دون إفراط ولا تفريط.

www.mtenback.com

وعلى العاقل ألاّ يندفع اندفاعًا جارفًا وراء أهوائه وشهواته، وعواطفه. بل الواجب أن يترك مجالاً للتحول إلى النقيض دون أن يترك ذلك أثرًا سيئًا نتيجة إفراطه في علاقته بالآخرين.

وقدَ ورد أن عليًّا قال لابن الكوّاء: هل تدري ما قال الأوّل؟ «أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[١١٥].

وفي معناه قول عمر بن الخطاب: لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا فقلت: كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كلفت كلف الصّبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف[١١٦].

وقال الحسن البصري: تنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس، وأحبوا هونًا، وأبغضوا هونًا، فقد أفرط أقوامٌ في حب أقوامٍ فهلكوا، وأفرط أقوامٌ في بغض أقوامٍ فهلكوا، وإن رأيت دون أخيك سترًا فلا تكشفه..[١١٧].

وهذا المنهج في الاعتدال في الميول العاطفية نحو الآخرين هو الذي يقي الإنسان مخاطر الغلو فيها، وآثاره النفسية والبدنية والاجتماعية السيئة.

فكم من محب وقع في الهوى والعشق فشط وتجاوز وانحرف، وكم من خلٍّ غالى في المودة والصحبة فتغيرت به الحال فندم وتحسر وتمنى لو أنه لم يفعل، وكم من مبغض أسرف في بغضه للآخرين، ثم انقلبت حاله نحوهم، فاحتاجهم، ووجد منهم غير الذي كان يظن فيهم فوقع قلبه أسيرًا للأسى والندامة.

---

[١١٥] البخاري: الأدب المفرد، بتخريج محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر، بيروت، ط٣ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٤٤٧ برقم ١٣٢١، وانظر: محمد عبده: نهج البلاغة ص٧٤٢.

[١١٦] العجلوني: كشف الخفاء، برقم ١٣٢٢.

[١١٧] المصدر السابق، ١٣٠ ص٥٣.

www.mtenback.com

وكان علي بن أبي طالب يذاكر أصحابه وجلساءه في حسن الأدب بقوله[118]:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنْ الأَذَى ... فَإِنَّكَ رَاءٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ

وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لا تَدْرِي مَتَى الْحُبُّ رَاجِعُ

وقال أكثم بن صيفي: «الانقباض من الناس مكسبةٌ للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء»[119].

أي أن المرء إذا نظر إلى من حوله نظرة نفور وشك واعتزلهم قابلوه بالانقباض والجفاء، مما يترتب عليه إيغار الصدور ونمو بذور العداوة، وكذلك إذا أفرط في مودتهم والأنس بهم والميل إلى كثرة مجالستهم، وحب التعرف على كل من يقابله، فإن ذلك سيؤدي به إلى مصاحبة بعض قرناء السوء الذين سيجلبون له المصائب.

والخير كل الخير في التوسط في ذلك، أي الاعتدال في التعرف على الناس ومودتهم، وحسن الانتقاء، وعدم التسرع في اختيار الصحبة.

قال سفيان الثوري لأخٍ له: هل بلغك شيء مما تكرهه عمن لا تعرف؟ قال: لا، قال: فاقلل ممن تعرف. أخذه ابن الرومي فقال[120]:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيْقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصِّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُوْنُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ

فَدَعْ عَنْكَ الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيْرٍ ... يُعَافُ وَكَمْ قَلِيْلٍ مُسْتَطَابِ

---

[118] العجلوني: كشف الخفاء برقم ١٣٠ ص٥٣.

[119] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣٢٩/١.

[120] الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة ط٢، ج٢، (د.ت) ص٨٤٦.

www.mtenback.com

الاعتدال في الإنفاق:

أمر الله بالتوسط في الإنفاق، فلا إسراف ولا تقتير، ولا إمساك ولا تبذير، بل قصد وتدبير، وإنفاق بحساب وتقدير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (١٢١).

ذكر القرطبي في تفسير الآية أن هذا مجاز عبَّر به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على إخراج شيء من ماله، فضرب به مثل الغَلِّ الذي يمنع من التصرف باليد... وفي قوله: «ولا تبسطها كل البسط» ضرب بَسْطَ اليد مثلاً لذهاب المال فإن قبض الكف يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها. وهذا كله خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته إنما نهى الله سبحانه وتعالى عن الإفراط في الإنفاق، وإخراج ما حوته يده من المال مَنْ خِيفَ عليه الحسرة على ما خرج من يده... وقيل إن هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه، على كيفية الإنفاق وأمره بالاقتصاد.

وقوله: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾، قال ابن عرفة: «يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسوراً منقطعًا عن النفقة والتصرف»(١٢٢).

فالبخل والإسراف على طرفي نقيض، وكلاهما مذموم تنفر منه الجبلة السليمة، ويتنافى مع التدبير السليم.

والاعتدال في الإنفاق في جميع المعاملات المالية أمرٌ مرغوبٌ تستقيم معه الحياة الاقتصادية، ويعيش المجتمع في توازن يحميه من كثير من الآفات المادية، والخسائر المالية، التي تسببها الفوضى في توزيع المال، التي تسبب للمجتمع إرهاقًا ومشكلات اقتصادية كبيرة.

---

(١٢١) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(١٢٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الإسراء، الآية ٢٩.

www.mtenback.com

وقد اهتم العلم الحديث بهذا المجال اهتمامًا كبيرًا، حتى صار علمًا متخصصًا يدرسه الطلبة في الجامعات، والمعاهد ليخدموا مجتمعاتهم في القضايا المالية، وكيفية إنفاقها بطرق سليمة على المشروعات المختلفة التي تساعد على نمو المجتمع وتقدمه.

وما خطط التنمية، وترشيد الإنفاق والاستهلاك، التي تضعها الحكومات إلا بابٌ من أبواب الاعتدال في الإنفاق العام، بهدف المحافظة على الثروات وصرفها في وجوهها.

ولا عجب أن تكون لابن سينا رؤية اقتصادية في قضايا الإنسان الحيوية، أوضحها في مؤلفاته حول ميزانية الفرد، أو ميزانية الأسرة، ووسائط معادلة الدخل (اقتناء القوت) بالإنفاق (الخرج) وجاءت هذه الموضوعات في إطار اهتمامه بالإنسان الفرد، وحرصه على إقامة توازن بين الفرد والجماعة، ووضعها تحت عنوان «علم تدبير المنزل»، وهذا العلم كما قرره يشمل وجوهًا سياسية واقتصادية واجتماعية لمجتمع المدينة - أي الدولة في نظره - مع أنه يحتفظ في التقسيم بعلم تدبير المنزل، أي الأسرة الضيقة، أي الاقتصاد العائلي.

ويرى أن الأخلاق والتدين تقوم على الاعتدال في الإنفاق دون إسراف، ودون تقتير، مع مراعاة التوازن بين الدخل والخرج (الإنفاق)[١٢٣].

والاعتدال في النفقة أمر يؤيده العقل والمنطق، ويتفق مع الواقع والحياة، ويسعى نحوه الحكماء والمصلحون، قال ابن الوردي في لاميته[١٢٤]:

بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلٍ رُتْبَةٌ وَكِلا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتَلْ

---

[١٢٣] القرعّي، أحمد يوسف: فكر ابن سينا والاقتصاد الحديث، مجلة البنوك الإسلامية، عدد ٢٣، جمادى الآخرة (١٤٠٢هـ).

[١٢٤] ابن الوردي، عمر بن المظفر: ديوانه ورسائله، ط٢، القاهرة، (١٣٩٩هـ)، مصورة عن طبعة القسطنطينية، مكتبة المعارف، الطائف، من مجموعة الرسائل الكمالية، (١٣٠٠هـ)، ص٣٢٠.

www.mtenback.com

وقال جرير يمدح يزيد بن عبدالملك[١٢٥]:

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمانِيَةٌ ... مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ

وهذا هو العطاء السليم، فلا هم يعطون بسخاء وإسراف بحيث يؤدي ذلك إلى الندم والحسرة، ولا هم يمنون بعطائهم ويطلبون مقابل ذلك ثناءً أو خدمة أو غير ذلك.

وفي ذلك قال الشاعر[١٢٦]:

وَدَعْ عَنْكَ إسْرَافَ العَطَاءِ وَلاَ يَكُن ... لِكَفَّيْكَ فِي الإنْفَاقِ إمْسَاكُ مُقْتِرِ

أَلاَ إنَّ أَوْسَاطَ الأُمُورِ خِيَارُهَا ... مَقَالُ نَبِيٍّ عَنْ هُدَى اللهِ مُخْبِرِ

ولعلي رضي الله عنه: «كُن سمحًا ولا تكُن مبذرًا، وكُن مقدرًا ولا تكن مقترًا»[١٢٧].

والاعتدال في الإنفاق من التدبير الذي دعت إليه الأخلاق السليمة، والفطرة البشرية، لأنه توسط بين طرفين مذمومين هما البخل والتبذير، وقد وصف الله عباده المؤمنين الذين استقاموا على الطريقة، واهتدوا للوسطية بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[١٢٨].

وفي هذا بيان للمنهج السليم في الإنفاق، فقد أخبر عنه بلفظ ﴿قَوَامًا﴾ أي معتدلاً وسطًا بين التبذير والتقتير، وهو الإنفاق بالطريقة المحمودة، التي جمعت الخير للمنفق وأبناء مجتمعه معًا.

---

[١٢٥] جرير، بن عطية: ديوانه، ص٣٠٧. الهنيدة: مئة ناقة.

[١٢٦] أحمد سعيد الدجوي: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، ص ١١١.

[١٢٧] محمد عبده: نهج البلاغة، ص ٦٨٧.

[١٢٨] سورة الفرقان: الآية ٦٧.

www.mtenback.com

والاعتدال في الإنفاق تُراعى فيه الحقوق والواجبات، فيعطى كل ذي حق حقه، كما حثت عليه الأخلاق والقيم الإنسانية منذ القدم.

إنها موازنة رشيدة وعادلة تختلف حسب أوضاع الناس، ومصالحهم، وتمنع من حبس المال أو إهداره.

فالإنسان الغني المعتدل يسلك مسلكًا وسطًا في الإنفاق على نفسه وأهله وأقاربه وجيرانه إن كانوا بحاجة إلى عون مُالي، دون تبذير وإنفاق للمال على غير هدى فيُعطي من لا يستحق ويترك من هو بأمس الحاجة للمال.

قال معاوية بن أبي سفيان: «ما رأيت سرفًا إلا وإلى جانبه حقٌّ يضيع»[١٢٩].

والإسراف في الإنفاق مذمومٌ حتى في عمل الخير إن كان يرجع بالضرر على المنفق ومن يعول، وذلك خشيةً من تضييع حقوقهم في ماله.

وقد أنكر الرسول ﷺ أن يتصرف المرء بكل ما يملك، فعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجلٌ بمثل بيضة من ذهب، فقال: يا رسول الله: أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال له: مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها، فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته، فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يَستَكِفُّ الناس؟ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[١٣٠].

---

[١٢٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٣٨٢، والقرطبي في تفسير الإسراء، آية ٢٩.

[١٣٠] رواه أبو داود: باب الرجل يخرج من ماله، سنن أبي داود، ١٦٧٣، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤٢٠هـ)، ص١٣٤٨.

www.mtenback.com

وفي الوصية عند الموت حث الشارع الكريم على الوسطية فيها حتى لا يتضرر الوارث، فعن جابر بن سعد عن أبيه قال: مرضت مرضًا أشفيت منه، فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فقلت: «يا رسول الله! إن لي مالاً كثيرًا وليس يرثني إلا بِنْتِي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت فالشطر؟ قال: لا قلت: فالثلث؟ قال: الثلث، والثلث كثير إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالةً يتكفَّفون الناس»[١٣١].

وفي هذا المعنى موقف الرسول ﷺ من كعب بن مالك بعد توبة الله عليه بسبب تخلفه عن غزوة تبوك، حيث عبر كعب عن سروره العظيم بهذه التوبة بالصدقة بكل ما يملك، وذلك عندما قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله إن من توبتي إلى الله وإلى رسوله أن أنخلع من مالي إلى الله ورسوله».

فقال الرسول ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك،هو خيرٌ لك»، قال: قلت: إني ممسك بسهمي الذي بخيبر[١٣٢].

ففي هذا الموقف تربية عظيمة للصحابة على الإنفاق باعتدال ووسطية، مع مراعاة حاجة أصحاب الحقوق على المنفق.

وفي هذا الإطار جاء الأمر بالنفقة على أصحاب الحقوق، والنهي عن التبذير وصرف الأموال في غير موضعها في قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[١٣٣].

وهذا أبلغ تعبير عن ضرورة الاعتدال والاقتصاد في كل وجوه النفقة.

---

[١٣١] سنن النسائي: باب الوصية بالثلث، حديث رقم ٣٦٥٦.

[١٣٢] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، رقمه في الموسوعة ٢٧٥٧.

[١٣٣] سورة الإسراء: ٢٦-٢٧.

www.mtenback.com

وقد جاء في الأثر: «ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في العبادة !!»[١٣٤].

وفي ذلك قال محمود سامي البارودي[١٣٥]:

وَلاَ تَكُنْ مُسْرِفًا غِرًّا وَلا بَخِلاً ... فَبِئْسَتِ الخَلَّةُ: الإِسْرَافُ وَالبُخلُ

وليس الاقتصاد في الإنفاق حسن تدبير فحسب، ولكنه معالجة لأمراض نفسية واجتماعية كثيرة، مثل حب الظهور، والتعالي، والكبر، والبطر، والأشر، ووقاية للمجتمع من شرور الشقاق والبغضاء والعداوة، وحماية من الانقسامات والفوارق الطبقية التي تزرع الفتن وتقوض دعائم الأمم.

والترف المفرط أغلب ما يكون إفراطًا في حقوق الفقراء والمساكين في المجتمع، وتفشيًا لظاهرة الانشغال بالملذات الدنيوية، والشهوات الآنية، والابتعاد عن القيم الروحية، والمثل العليا، مما يعجل في انهيار المجتمع أو تفاوت حظوظه في الحياة وما يتبع ذلك من الحسد والحقد، وباستقراء التاريخ نجد معظم الدول التي بسطت سيطرتها على مساحات شاسعة، وأمم وشعوب كثيرة، سرعان ما بادت وخمدت وانطفأ نورها بسبب الترف والتبذير.

وقد تنبه لهذا ابن خلدون في مقدمته، حيث قال: «ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشهوات، والاسترسال فيها، بكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ، ويتبع ذلك تفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح، فيفضي ذلك إلى فساد النوع»[١٣٦].

---

(١٣٤) القاسمي، جمال الدين: محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (د.ت)، ج١٢، ص٤٥٩٠.

(١٣٥) البارودي، محمود سامي، ديوانه، حققه: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ص٤٧٥.

(١٣٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، طبعة الشعب، ص ٣٣٤.

www.mtenback.com

والتوسط في إقامة الحفلات والولائم والأعراس أمر محمود والتبذير فيها إضاعة للمال وإهدار لحق من هم بحاجة إليه، وقد ترى اليوم البذخ في إقامة الحفلات والولائم لا لشيء إلا لحب المفاخرة بين الناس، وقد يكون لصاحب الوليمة أو من كانت الحفلة له أقارب في أمس الحاجة للعون والمساعدة فلو توسط في حفلته أو مأدبته وساعد من هو بحاجة لكان ذلك من الكمال لأن التكلف والمبالغة في الولائم والحفلات مذموم فهو يرهق صاحب الدعوة وربما يستلف المال من أجل هذه المظاهر التي سرعان ما تزول ولا تترك أثرًا يذكر إلا الرياء وحب الثناء.

والأمة التي تبتلى بالتبذير والإسراف يستغل أغنياؤها فقراءها وينحصر المال في أيد قليلة يقابلها كثرة فقيرة فيقوم الشقاق بينهم. ولو تُرِك مكان للعدالة ومساحة للوسطية والاعتدال لما نتج انهيار المجتمع وقوانينه.

الاعتدال في التربية والتعليم:

التربية التي نحتاجها اليوم تربية تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتنبذ رذائلها، وتراعي شخصية الفرد وتوازن تنمية الجوانب المختلفة، العقلية، والمعرفية، والوجدانية.

وعلى صعيد المجتمع ينبغي ألا تقتصر التربية على فئة معينة، بل يجب أن تكون شاملة مدروسة تشمل جميع أفراد المجتمع، أن تتكامل المؤسسات التربوية، وتتضافر جهودها في خدمة سائر جوانب العملية التربوية، كالتفكير والتخطيط، ووضع الأهداف الواضحة، والمنضبطة، باعتدال وتوازن.

ومما يجب التنبيه له أن التوازن والتكامل لا يعني أن يحمل كل شخص قدرًا مساويًا من كل جانب؛ وذلك لاختلاف الأشخاص في القدرات والمواهب؛ ولحاجة الأمة إلى كوادر كثيرة مبدعة في كل جوانب التربية والتنشئة على المنهاج السليم.

ولا يعني التوازن ترك التخصص، بل إن فهم الوسطية تزول به إشكالات كثيرة، كالتوفيق بين العلم والعمل.

www.mtenback.com

ومن المهم جدًا إيجاد المربي الناجح في المجتمع، وهو الذي يتبع سبيلاً وسطًا، ومنهجًا مستقيمًا مدروسًا قائمًا على الخبرة والتجربة، يستطيع به أن يرتقي بفكر من يقوم بتربيتهم وتعليمهم وثقافتهم، سواءً أكان أبًا أم مدرسًا، أو غير ذلك.

والمربي في حال الاعتدال والتوسط يستطيع أن يؤثر فيمن حوله، ويشدهم إليه، ويرغبهم في منهجه، حيث يأنسون له، ويستمعون إلى كلامه، ويستجيبون لتربيته، فيتخذونه مثلاً وقدوة.

ولو أنه سلك مسلكًا شططًا في التعليم، فانتهج أسلوبًا فظًا غليظًا، أو أسلوبًا متهاونًا يتسم بالإهمال والتقصير وعدم المبالاة، فإنه ينفر منه من حوله، ويعدونه مثلاً في الشدة أو الضعف حسب الحال من إفراط أو تفريط.

ومجالات التربية واسعة، والتوسط مطلوب فيها جميعًا، سواءً كانت التربية في محضن الأسرة، أو في المدرسة والمعهد والجامعة، أو في المؤسسات التربوية والتعليمية والعملية.

ففي البيت على الوالدين انتهاج الوسطية في معاملة الأبناء، ويحسن بهما أن ينظما شؤون البيت بطريقة متزنة، لا إفراط فيها ولا تفريط، ويجب عليهما استغلال كل مناسبة في توجيه الأبناء إلى التوسط في المأكل والمشرب، واللباس، والنفقة، والمعاملة فيما بينهم، وتدريبهم على تجنب الإسراف في كل الأمور، وذلك بتطبيق عملي يقتدي به الأبناء، ويكون لهم مثلاً يحتذى.

وقد صور لنا القرآن الكريم نموذجًا مهمًا من نماذج التربية الأبوية، وذلك في قصة لقمان مع ابنه، حيث أوصاه عدة وصايا مهمة، كان من أهمها إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاقتصاد في المشي، وطريقة التفكير، والعمل والقول.

www.mtenback.com

قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١٣٧].

ولقمان بطريقته الحكيمة في وعظه، التي اتسمت بالاتزان والاعتدال، يطلب من ابنه أن يتواضع في مشيته ولا يختال أو يستعجل، بل يمشي باعتدال وطمأنينة، يطلب منه أن يخفض من صوته، فلا يرفعه كأصوات الحيوانات، ولا يخفيه بحيث لا يفهمه السامع، بل يسلك مسلكًا وسطًا في الحديث مع الآخرين بصوت مسموع مفهوم.

وعلى الآباء أن يحذروا من تجاوز الحد في الرأفة والعطف، مما يؤدي إلى التفريط في تربية أبنائهم، وكذلك توجيه أبنائهم إلى هذا المعنى، وضرورة الحرص على البر بآبائهم دون تقصير.

قال علي بن الحسين يوصي ابنه: «واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له»[١٣٨].

ففي هذه الوصية تنبيه على ضرورة الأخذ بالحزم دون شدة، واللين دون ضعف في تربية الأبناء، وفيها تنبيه للأبناء بتجنب التقصير في حقوق آبائهم من الطاعة والبر.

وكتب علي بن أبي طالب إلى ابنه محمد بن الحنفية رسالةً يوصيه فيها ومنها: «فحسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد و لم يهلك امرؤٌ اقتصد»[١٣٩].

---

[١٣٧] سورة لقمان: ١٧-١٩.

[١٣٨] ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ)، ج٣، ص٩٨.

[١٣٩] المصدر السابق، (١٠٢/٣).

www.mtenback.com

لقد نصح الإمام علي ابنه بالاعتدال والتدبير والاقتصاد في أموره كلها، وبين له فوائد ذلك، وأن في الاعتدال سلامة له من غوائل الدهر.

وعلى هذا النحو جاءت وصية عبد الملك بن صالح لابنه، حيث قال له: «وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف، والاقتصاد يثمر القليل، والإسراف يتبر الكثير... ومن أسرف في الأمور انتشرت عليه، ومن اقتصد اجتمعت له، واللجاجة تورث الضياع للأمور، غب الأدب أحمد من ابتدائه، الإحجام عن الأمور يورث العجز، والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ»[١٤٠].

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبًا: «يا بني، إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، وإذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب»[١٤١].

أما بالنسبة للتعليم في المدارس وغيرها من المؤسسات التربوية فالاعتدال فيه مهم جدًا، فالطالب ينظر إلى مدرسه على أنه المثل الأعلى، والقدوة الأهم في حياته، حيث تبقى آثار تربيته وتعليمه في نفسية طلابه ما داموا على قيد الحياة، وتتشكل عقليتهم وثقافتهم بناءً على ما يتلقونه من مدرسيهم في المراحل المختلفة.

ولهذا فإن المعلم المربي يجب أن يتصف بالاعتدال والتوازن ليمنح الخير، ويبني اللبنات الاجتماعية، ويؤسس الكوادر التي تحسن البناء مستقبلاً.

ولهذا يهتم المعلم الناجح أول ما يهتم بالطريقة والمنهج الذي سيسلكه مع طلابه، حيث ينصرف إلى إعداد الدروس بدقة، ووضع الطريقة المناسبة للإلقاء، واختيار الوسائل المناسبة بعناية، ثم الأداء بتوسط واتزان، فيضفي على درسه نوعًا من النشاط والمشاركة الفاعلة، ويفتح المجال أمام الجميع مراعيًا الفروق الفردية، ويستوعب

---

[١٤٠] الجاحظ: البيان والتبيين، (٤/٩٣).

[١٤١] الجاحظ: البيان والتبيين، (١/٢٦٤).

www.mtenback.com

الأخطاء ويعالجها بحكمة، ويُقَوِّم الطلاب بطريقة لبقة تشعرهم بالاهتمام والحرص، وينهي الدرس بطريقة سليمة في جوٍّ تخيم عليه المودة، وفي حالة من الألفة والطمأنينة والاعتدال، وقد قيل: «لا تكن صُلْبًا فتُكسر، ولا لينًا فتُعصر».

وعلى المعلم أن يتجنب الإفراط في الإطالة في الحديث والشرح، لأن ذلك يبعث على السآمة والملل.. وقد روي عن الوليد بن مزيد قال: «المستمع أسرع ملالاً من المتكلم»[١٤٢].

وعليه أن يتأنى وينتقل من اليسير إلى الصعب بروية وحكمة، فقد قالت العرب: «الرَّشف أَنْقَع»[١٤٣].

وقال الخطيب البغدادي: «ينبغي للمحدث ألا يطيل المجلس الذي يرويه بل يجعله متوسطًا، ويقتصد فيه، حذرًا من سآمة السامع وملله، وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله، فقد قال أبو العباس محمد بن يزيد بن المبرد فيما بلغني عنه: من أطال الحديث وأكثر القول، فقد عرض أصحابه للملال وسوء الاستماع، ولأن يدع من حديثه فضلة يعاد إليها، أصلح من أن يفضل عنه ما يلزم الطالب استماعه من غير رغبة فيه ولا نشاط له»[١٤٤].

ويحسن بالمعلم أن ينثر طرائف الحكمة خلال درسه، ويروح عن قلوب طلابه بنوادر الحكايات المفيدة، إن كانت طبيعة الدرس جامدة، وقد روي عن علي رضي

---

[١٤٢] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، (١٤٠٣هـ)، ج١، ص١٣٠.

[١٤٣] الميداني: مجمع الأمثال ٣٠٣/١، وابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ٣، ص١٢١، ومعنى المثل: إن امتصاص الماء يروي أكثر من كرعه، يضرب في فائدة التأني في استحصال الحاجة أخذًا من معنى الرشف وهو مص الماء قليلاً قليلاً.

[١٤٤] الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (١٢٧/٢).

www.mtenback.com

الله عنه أنه قال: «روحوا القلوب وابتغوا لها طُرف الحكمة؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان»[١٤٥].

ومما ينبغي الالتفات إليه أثناء التدريس قدرة الطلاب على الاستيعاب، فلا يخاطبهم بما لا تدركه عقولهم، وتقصر عنه أفهامهم، وذلك كما جاء في الحديث: «حدِّثوا الناس بما يعرفون»[١٤٦].

ويرى الغزالي أن من وظيفة المعلم «أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفره أو يخبط عليه عقله».

وقال الإمام النووي: «ولا يلقي إليه شيئًا لم يتأهل له، لئلا يفسد عليه حاله، فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه، وأنه لم يمنعه من ذلك شحًا، بل شفقة ولطفًا»[١٤٧].

وهذه الإشارات والإضاءات مهمة ينبغي مراعاتها في مسألة التعليم والتربية، بل إن كل معلم محتاج إليها، ومطلوب منه السير على هداها، لأن الاعتدال السليم في التعليم يجب أن يشمل كل مراحله، وكل مواده، وكل طرقه ووسائله وأساليبه.

ومن المهم هنا أن نلفت النظر إلى الدراسات الجادة في هذا الوقت، حيث صارت الدول تبحث عن منهج وسط معتدل يرفع من مستوى التعليم، ويجنبه مشكلات الغلو، ولذلك نرى القوانين والتوجيهات توضع بعناية، وبعد دراسة وتمحيص وتجربة، وتوظف لها الخبرات والأموال، لتراعي التوسط في التربية، وطرق الاكتساب في مناهج حديثة أكثر نفعًا، وأفضل نتيجة.

---

[١٤٥] المصدر السابق (٢/٢٩)، وجاء في نهج البلاغة قوله: إن للقلوب إقبالاً وإدبارًا فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض، ص٧٥١.

[١٤٦] العجلوني، كشف الخفاء، برقم ١١١٨.

[١٤٧] انظر: محمد عبدالله الدويش: المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن، الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ)، ص٧١.

www.mtenback.com

وعلى الوالدين أن يدربا أولادهما على الاقتصاد في الإنفاق في دروس عملية مثل تشجيعهم على ادخار المال في حصالات لشراء الألعاب أو كتب الأطفال أو غير ذلك مما يحبه الأطفال في الوقت المناسب، وكذلك عليهما أن يدربوهم على التوسط في المأكل، والمشرب والملبس حتى ينشؤوا على الوسطية والاعتدال.

وقد تغيرت وسائل التلقي والتعلم وتطورت صلة الإنسان بمن حوله، فقد يكون في التعليم المعاصر من المحفزات ما لا يوجد فيما كان من أشكال التعليم في الماضي، وفيه من وسائل التثقيف ما لا يمكن تجاهله، ولهذا فإن الواجب على المعلم والمتعلم مراعاة الحال وتغير الزمان وانتقاء ما يصلح للحاضر والتطور في وسائل التعليم مع كل المستجدات ومع كل الوسائل الممكنة، ومجاراة الزمن والاستفادة من مستجدات الحياة النافعة.

الاعتدال في المأكل والمشرب والملبس:

إن لبدن الإنسان عليه حقوقًا ينبغي مراعاتها، وله متطلبات لا يقوى على الحركة بدونها، ومن أهم هذه الحقوق الواجبة على كل إنسان نحو جسده المحافظة على الصحة والسلامة، فيراعي ما يحمي الجسد من الأمراض والآفات المهلكة، أو ما يؤدي إليها.

ربما كان الإسراف في الطعام والشراب حتى التخمة من الأمور المهلكة التي ينبغي الحذر منها، والبعد عن مواطنها، والالتزام بنظامٍ متزن في المأكل والمشرب يحمي بإذن الله من شرورها.

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[١٤٨].

[١٤٨] سورة الأعراف: الآية ٣١

www.mtenback.com

وبالمقابل لا يحق لامرئٍ أن يمتنع عن الطعام والشراب بصورة تؤذي الجسد وتضعفه وتوهن قواه، بحجة مجاهدة النفس وترويضها على الصبر والتحمل، أو بحجة تغليب الجانب الروحي على الجانب المادي.

وتحقيقًا لهذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن مواصلة الصيام، موضحًا أن المنهج السليم في ذلك منهج داود عليه السلام حيث كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

والإسراف في الطعام يجلب الأمراض، ويؤدي إلى الكسل والوهن، ويثقل الجسد ويضعف العزيمة، ويظهر السمنة.. وهذا إفراطٌ في الاستجابة لشهوة الأكل والشرب مرده الجهل بحاجات الجسد، ومصلحته.

وفي الحديث: «كلوا واشربوا، والبسوا وتصدقوا، من غير إسراف ولا مخيلة»[١٤٩].

وقد قال لقمان لابنه: «يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، وفي الخلو عن الطعام فوائد، وفي الامتلاء مفاسد، وفي الجوع صفاء القلب وإيقاد القريحة، ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة، ويعمي القلب»[١٥٠].

وهي وصية حكيمة جاءت على لسان حكيم، حيث إن الإسراف في الطعام مجلبة لكل هم، وسبب لأكثر الأمراض والآفات الجسدية، ويترتب عليه خمول وكسل وثقل يقعد الهمة، ويوهن العزيمة.

ومما ينسب للإمام الشافعي[١٥١]:

ثَلاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الأَنَامِ ... وَدَاعِيَةُ الصَّحِيْحِ إِلَى السَّقَامِ

---

[١٤٩] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب اللباس برقم (٥/٢١٨١).

[١٥٠] الصنعاني، محمد بن إسماعيل: سبل السلام، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (١٣٩٧هـ)، ج٤، ص٣٥٦.

[١٥١] الشافعي، محمد بن إدريس: ديوانه، دار الجيل، بيروت، ط٣، (١٣٩٢م)، ص٧٤.

www.mtenback.com

دَوام مُدامَــــــــــــةٍ وَدَوَامُ وَطءٍ وَإدْخَـــالُ الطَّعَـــامِ عَلَـى الطَّعَـــامِ

والإشارة إلى إدخال الطعام على الطعام، وأن ذلك من المهلكات إشارة لطيفة ينبغي التنبه لها، إذ سببه الإسراف في الطعام والإقبال عليه، وحبه بشره، فلا ينتظر المرء حتى يهضَم الطعام، بل يتبعه بغيره مما يؤذي المعدة ويسبب لها الأمراض والعلل ويزيده شهوة الاستئثار والشراهة.

قال الشاعر يؤيد ذلك[١٥٢]:

يُميتُ الطَّعَامُ القَلْـبَ إنْ زَادَ كَـثْرَةً كَزَرعٍ إذَا بِالَمـــاءِ قَـدْ زَادَ سَـقْيُهُ

وَإنَّ لَبِـــيْبًا يَرْتَضِي نَقْـــصَ عَقْلِـهَ بِأكْلِ لُقيماتٍ فقَــدْ ضَــلَّ سَـعْيُهُ

أي إن الواجب التوسط بين الحالتين، فكما أن الإكثار يضر الجسد، فكذلك الإقلال، سواء بدافع التوفير بخلاً وضنًا على النفس، أو بدافع الزهد والتبتل، فإن عدم اتباع نظام متزن في الطعام، وعدم توفير العناصر الغذائية المهمة للجسد، يؤدي إلى الضعف والانهيار، فتصبح القوى خائرة، والأعضاء واهنة.

ومن الطغيان في الطعام أكله من غير حله، وذلك بالكسب الحرام، أو بأكل أموال الناس بالباطل، لذلك قال تعالى محذرًا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [١٥٣].

وقال بعض الحكماء: «لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من ثلاث في غير إفراط: الأكل والمشي والجماع»[١٥٤].

---

(١٥٢) دليل السائلين: أنس أبو داود، جدة، (١٤١٦هـ)، ص٣٤.

(١٥٣) سورة طه: الآية ٨١.

(١٥٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الوالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤١٢هـ)، ص٥٣٣.

www.mtenback.com

أما الإكثار بإسراف فقد يؤدي إلى التخمة التي تؤدي إلى الموت.

وفي الآداب الكبرى: اعلم أن كثرة الأكل شؤم، وأنه ينبغي النفرة عمن عرف بذلك واشتهر به واتخذه عادة، ولهذا روى مسلم عن نافع قال: رأى ابن عمر رضي الله عنهما مسكينًا، فجعل يضع بين يديه ويضع بين يديه، فجعل يأكل كثيرًا، فقال: لا يدخلن هذا عليّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدميّ وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه»[١٥٥].

وعنه ﷺ: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء مات» كما نصحوا بأن يقلل المرء طعامه ليحمد منامه[١٥٦].

كما قالوا: «البطنة تَأْفِنُ الفطنة»[١٥٧]، وتقول العرب: «أقلل طعامًا تحمد منامًا».

وكانت تعيّر بعضها بكثرة الأكل، وأنشدوا[١٥٨]:

لَسْتُ بِأَكّالٍ كَأَكلِ العَبْدِ ... وَلاَ بِنَوّامٍ كَنَوْمِ الْفَهْدِ

وعد الغزالي عشر فوائد لتقليل الطعام، منها: صفاء القلب، وإيقاد القريحة، وإنفاذ البصيرة، وزوال البطر، وكسر الشهوات، وصحة البدن، ودفع الأمراض، وخفة المؤونة[١٥٩].

---

[١٥٥] الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٣٦/٥ برقم ٢٢٦٥.

[١٥٦] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٥٤٧.

[١٥٧] الميداني: مجمع الأمثال، (١٠٦/١).

[١٥٨] الأبشيهي: المستطرف، ٥٤٨/١ ونسبه المحقق لابن دريد.

[١٥٩] انظر: الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣، ص٨٢.

www.mtenback.com

أما الملبس فينبغي الاعتدال فيه، وعدم الإسراف، لأن ذلك يؤدي إلى المخيلة والكبر، حيث يرى المرء نفسه فوق الآخرين، وخيراً منهم، وذلك لتميزه عنهم بلباسه الأنيق الثمين الذي كلفه مالاً لا يستطيع كثيرٌ من الناس تحصيله، وغاية اللباس ستر العورة والمظهر الحسن في غير إسراف، أما الاختيال في الثياب وألوانها ونوع أقمشتها، وثمنها الباهظ فإنه يحرك في نفس الإنسان نوازع التكبر والفوقية، مما يغير من نظرته لنفسه وللناس، فيفسد بذلك قلبه، ويتغير حاله إلى أسوأ.

وقال يحيى بن خالد لابنه: «إذا حصلت ثياباً ففصلها وسطًا فإنك إن وَهبتها طويلاً لا تقصُرُ عليه، وإن وهبتها وسطًا جاءت مطابقة عليه». وقيل: «لباس البخلاء الاستبرق، لطول بقائه، ولباس المترفين السندس، لقلة بقائه، ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه»[١٦٠].

وفي المقابل لا ينبغي للمرء أن يلبس الرث من الثياب وهو قادر على شراء ثياب نظيفة مناسبة؛ لأن ذلك قد يكون بدافع التبتل وحجة الانقطاع عن الدنيا، أو بسبب إهمال الذات والطبع السيئ في عدم الاعتناء بالمظهر، وكلاهما مذموم، ولكن الخير في الاعتدال والتوسط، فقد رُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فنظر إليه رثَّ الهيئة، فقال: ألك مال؟ قال: نعم من كل أنواع المال. فقال: فليُرَ عليك؛ فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا، ولا يحب البؤس ولا التباؤس[١٦١].

وقد نهى الشرع عن الاختيال في الثياب وإسدالها، وعن الابتذال وإظهار التقشف، وذلك في أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البيهقي في سننه أن النبي ﷺ نهى عن الشهرتين: «أن يلبس الثياب الحسنة التي ينظر إليه فيها، أو الدنيئة الرثة التي ينظر إليه فيها»[١٦٢].

---

[١٦٠] الابشيهي: المستطرف، ج٢، ٢١٠.

[١٦١] الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٣١١ برقم ١٣٢٠.

[١٦٢] أخرجه البيهقي (٣/٢٧٣) عن كنانة بن نعيم مرفوعًا.

www.mtenback.com

وجاء في الحديث: «كُلوا واشربوا والبسوا وتصدّقـــوا في غـــير إســـراف ولا مخيلة»[١٦٣].

وقال ابن عباس: «كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة»[١٦٤].

وفي الاعتدال في الملبس أثر اقتصادي على المجتمع بأسره، حيـــث يقلـــل مـــن النفقات غير الضرورية، ويوفر على المجتمع مالاً يمكن إنفاقه في مشروعات أخرى تعـــود عليه بالنفع، فهو من الناحية الاقتصادية دعامةٌ لدفع عملية التنمية والبناء، وعليه يتوقف رافد أساسي في ضبط إهدار المال وصرفه في غير فائدة.

الاعتدال في الحكم والقضاء والشهادة:

الوسطية ضرورة لكل حاكم ينشد السلامة، ويسعى في مصلحة وطنه وشعبه، وهي من المزايا الأساسية للحكم بالعدل، والسير في الرعية بسيرة الصلاح والرحمـــــة، وبدونها يهيمن الانحراف والتطرف الذي يقود إلى الفوضى وعدم الاستقرار.

يحتاج رجال الدولة إلى سياسة وسط في التعامل مع فئات المجتمع المختلفة، فـــلا بغي ولا عدوان على حقوق الشعب، لأن هذا يمكن أن يؤدي إلى الخروج على الدولـــة والقانون، ولا تفريط وتهاون في ضبط شؤون الدولة ونظامها، لأن هـــذا يـــؤول إلى التطاول على القانون وعدم احترامه والالتزام ببنوده، والتاريخ يشهد أن الذين اتبعـــوا العدل والوسطية في حكمهم وسياستهم كانوا أكثر أمنًا واستقرارًا وطمأنينـــة علـــى مراكزهم من أولئك الذين ظلموا وبغوا وتطرفوا، أو تساهلوا وتهاونوا فكانت النتيجة زوال عروشهم وانقضاء دولتهم لأن البطش والظلم يحركان النفوس ويملآن الأفئـــدة بغضًا لا يلبث أن يتحول إلى فعل يزيل الطغاة الظالمين.

---

[١٦٣] رواه البخاري معلقًا في كتاب اللباس، انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري (١٠/٢٥٢).

[١٦٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

والذي يسلك مسلك الإفراط في ضبط الأمن وإجبار الرعية على اتباع نهج معين يوافق هواه دون مصلحة الناس، فإنه يضطر إلى تجنيد جيوش لحمايته، وإنفاق أموال طائلة لتوفير الأمن لحكومته، ولا بد أن يأخذ الناس بالظنة، ويحتاط أكثر فأكثر بالتضييق على شعبه، وسيجد نفسه في كثيرٍ من الأحيان مضطراً لإنفاق الأموال الطائلة على الأمن مما يرهق الدولة ويكلفها الكثير، فيذهب المال ويذهب السلطان.

وكذلك الذي يتهاون وينأى بنفسه عن مشكلات أمته، ويوكل الأمر لأشخاص يفتقرون للأمانة، ولا يتخذ الإجراءات اللازمة لإخماد الفتن، ولا يحرك ساكنًا لمعالجة القلاقل، فإنه سيجد نفسه بمعزل عن شعبه، منبوذًا مكروهًا، ونهايته مثل نهاية الطغاة الظالمين.

ولا بد من تحري العدل في توزيع الفرص المتساوية بين أبناء الوطن حتى لا تشعر فئة أو جماعة منهم أنها تأخذ كل شيء ويشعر آخرون أنهم لا يأخذون شيئًا وإذا حدث الحيف في الفرص العامة أو الثروة العامة حصل الحسد والتباغض فازداد المقرب جشعًا وبغيًا وازداد المبعد حسرة وبغضًا، وحصل الاختلاف والتنازع وشُقّت عصا الجماعة، واستعصى الوفاق بينها، فلابد لمن حمل الأمانة أن يرعاها ويحسن رعايتها، ولابد له من الاعتدال في الحكم وسن القوانين، واختيار الأكفاء في المناصب الحساسة، ولا بد من العدل في تنفيذ رغبات الناس، وتوفير احتياجاتهم، والسهر على أمنهم.

على هذا النهج سار كثيرٌ من الحكام والخلفاء من السلف، وبه استحوذوا على حب الناس لهم، ورضاهم عنهم، وقد تمثلت آثار هذا النهج في الحياة العامة بمختلف مرافقها، حيث العمران، والحضارة، والأمن النفسي، والتماسك والترابط الاجتماعي، والتكافل والتعاون، مما جعل لتلك الأمم سيادة ورفعة لم تكن لغيرها من الأمم التي تفتقر لهذا النهج القويم في الحكم.

www.mtenback.com

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن هذا الأمر لا يصلح إلا بلينٍ في غير ضعف، وشدة في غير عنف»[١٦٥].

وهي كلمات معبرة تضع منهجًا وقانونًا عمليًا واقعيًا لا نظريًا للحكم والسياسة.

ولو تعامل الحاكم باللين نتيجة ضعفه وعدم قدرته على تدبير وتصريف الأمور لتحول المجتمع إلى فوضى، ولانتشرت فيه الفتن والقلاقل، وعلى العكس لو استعمل الحاكم مع الناس أسلوب الشدة والعنف، فإنه ينفرهم منه، مما يولد العنف المضاد، ويوجد الأسباب للخروج والتمرد.

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل من عماله: ألاَّ تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه[١٦٦].

وفي هذا الأسلوب بيانٌ لضرورة التروي في الحكم، وعدم التسرع في إنزال العقوبة بالمذنبين، واجتناب إصدار الأحكام في أثناء حالة الغضب، وهذا كله من الاعتدال الذي يجب أن يتميز به الحاكم أيًا كان.

والحاكم المعتدل الذي سلك نهج الوسطية يتابع أحوال الرعية، ويتفقدها، ويحرص على تولية الأكفاء والأخيار الذين يصلحون ولا يفسدون، وإذا ما رأى من المصلحة عزلهم واستبدالهم سارع إلى اتخاذ ما فيه الخير للأمة من القرارات الصائبة بعد الشورى والتثبت.

---

[١٦٥] انظر: العقاد، عباس محمود، العبقريات الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٨٤م)، ج١، ص٤٨٢.

[١٦٦] الأبشيهي: المستطرف (١/٥٨٤).

www.mtenback.com

روي أن زياد بن أبيه كان كاتبًا لأبي موسى الأشعري، فعزله عمر عن ذلك، فقال له زياد: «أعن عجزٍ عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة؟ فقال: لا عن ذاك ولا عن هذا، ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك»[١٦٧].

ويقال: «إفراط العقل مُضرٌّ بالجد»[١٦٨].

أي أن عمر لما رأى لزياد عقلاً كبيراً في سياسة الأمور بتشديد ودقة، خاف أن يؤثر ذلك في العامة، فيرهقهم ويحملهم ما لا يطيقون فلا يستطيعون إدراك ما يريد زياد.

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على الخليفة المنصور فقال: «يا أمير المؤمنين، إن سلطانكم حديث، وإمارتكم جديدة، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها، وجنبوهم مرارة جورها، فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة»[١٦٩].

ويندرج تحت هذا أمر الاعتدال في القضاء، إذ يعد القاضي صاحب سلطان وولاية، وبيده سيف العدالة، وينبغي اختيار صاحب الأهلية لهذا المنصب، ويجب توفر شروط أساسية في القضاة من أهمها الاعتدال والحياد وعدم التحيز والقناعة والعفة عن أموال الناس.

وقد وردت وصايا كثيرة على لسان الحكام لقضاتهم يوجهونهم فيها إلى الاعتدال والوسطية، وعدم التسرع في إصدار الأحكام التي تجلب الحسرة والندامة.

ومن ذلك ما جاء في كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «آس بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يمنعك قضاءٌ قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك،

---

[١٦٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار (١/ ٤٥٠).

[١٦٨] المصدر السابق نفسه.

[١٦٩] المبرد: الكامل،، ج١، ص٣١٩.

www.mtenback.com

وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق لا يبطله شيء، واعلم أن مراجعة الحق خيرٌ من التمادي في الباطل»[١٧٠].

وعلى القاضي أن يدعو إلى الإصلاح وفض التنازع قبل إصدار الحكم والبت في القضية، وقد قال أحدهم لقوم يتنازعون: «هل لكم في الحق أو فيما هو خير من الحق؟ فقيل: وما يكون خيراً من الحق؟ قال: التحاطّ والهضم، فإن أخذ الحق كله مرّ»[١٧١].

وتتفرع من هذا الباب أمور ينبغي مراعاتها، مثل أمر الشهادة، حيث أمر الله تعالى بالاعتدال فيها، وحث المؤمنين على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١٧٢].

قال الطبري: فلا تتبعوا أهواء أنفسكم في الميل في شهادتكم إذا قمتم بها، لغني على فقير، أو لفقير على غني إلى أحد الفريقين فتقولوا غير الحق، ولكن قوموا فيه بالقسط، وأدوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها بالعدل لمن شهدتم عليه وله.

الاعتدال في الزيارة:

من الأمور التي يندب فيها الاعتدال زيارة الأقارب والأقران، فلا يكثر لئلا يمله أقرباؤه وقرناؤه، ولا يقطعهم فيحصل الجفاء والبعد، ولكن يصلهم بميزان، ويقيم بينه وبينهم جسراً متيناً يحصنه بزيارات خفيفة متباعدة تترك أثراً طيباً، وودًا متواصلاً.

---

[١٧٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ٦٦.

[١٧١] المصدر السابق، ص٦٣.

[١٧٢] سورة النساء: الآية ١٣٥.

www.mtenback.com

وفي الحديث: «زر غبًا تَزدد حبًا»[١٧٣].

وهذا التوجيه النبوي تنبيه إلى ما يحصل من مَلَل بين الأقارب والأصحاب بسبب كثرة الزيارات، والإطالة في المكوث، وهو طبع الثقلاء، الذين كثر ذكرهم في كتب الأدب القديمة، وقيل فيهم شعر يذم حالهم، ويهجو خلقهم، قال الشاعر[١٧٤]:

فَمَا الْفِيْلُ تَحْمِلُهُ مَيتًا بِأَثْقَلَ مِنْ بَعْضِ جُلاَّسِنَا

وننوه هنا إلى أن الزيارة الخفيفة أصبحت ضرورة للناس في زماننا؛ إذ كثرت الأعمال وتنوعت، وازدادت الأعباء والتكاليف، وصار يشق على الناس قضاؤها في وقت قصير، بل إن كل شخص يحتاج إلى مزيد من الوقت ليؤدي واجباته ومهماته، والزيارات الكثيرة تعيق أداء كثير من الواجبات، وتهدر أوقات الناس فيما لا فائدة فيه، مما يعود بالضرر على المزور في حالات كثيرة.

قال الشاعر[١٧٥]:

عَلَيْكَ بِأَغْبَابِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ صَارَتْ إلى الهَجْرِ مَسْلَكَا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا وَيُسْأَلُ بِالأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَا

ويُقال: الإكثار من الزيارة مملّ، والإقلال منها مُخلّ[١٧٦].

وكذلك قلة الزيارات وتباعدها لدرجة نسيان العلاقة، وضمور المودة، ينشأ عنها اضمحلال الوفاء، وغياب الإلف، وحلول المجاملة بدلاً من الصدق والإخلاص في المعاملة.

---

(١٧٣) الألباني: صحيح الجامع الصحيح برقم ٣٥٦٨.

(١٧٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٣٠٩.

(١٧٥) المصدر السابق نفسه.

(١٧٦) الأبشيهي: المستطرف ١/٣٩٠.

www.mtenback.com

قال الشاعر:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَتَابِعًا ... وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبَّا

وقال آخر[177]:

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيْ ... قَ يَرَاكَ كَالثَّوْبِ اسْتَجَدَّهْ

إِنَّ الصَّدِيْقَ يُمِلُّهُ ... أَلاَّ يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهْ

فالقصد في الزيارة من مكارم الأخلاق، وإن تقليلها يدعو إلى القطيعة والهجران وكثرتها تؤدي إلى الملال والكره والجفاء وقد تنتهي إلى المشاحنة والبغضاء.

قال لبيد:

تَوَقَّفْ عَنْ زِيَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ ... إِذَا أَكْثَرْتَ مَلَّكَ مَنْ تَزُوْرُ

وقال أبو العتاهية[178]:

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيْقَ وَلاَ تُطِلْ ... هِجْرَانَهُ فَلَجٌّ فِي هِجْرَانِهِ

إِنَّ الصَّدِيْقَ يَلَجُّ فِي غِشْيَانِهِ ... لِصَدِيْقِهِ فَيَمَلُّ مِنْ غِشْيَانِهِ

وَأَخَفَّ مَا يَلْقَى الْفَتَى قُرْبًا عَلَى ... إِخْوَانِهِ مَا خَفَّ مِنْ إِخْوَانِهِ

ومن أنواع الزيارة التي يندب فيها التخفيف زيارة المرضى، فإنهم بأمس الحاجة إلى الراحة، والنوم، والهدوء، وهذه الأمور لا تتوافر لهم في حال مكوث الزائر طويلاً.

ومماذكره الأبشيهي في ذلك، أن بكر بن عبد الله المزني مرض فعاده أصحابه، فأطالوا الجلوس عنده، فقال: المريض يُعاد، والصحيح يُزار.

---

[177] ابن قتيبة: عيون الأخبار (٣/٢٦-٢٧)، وكذا البيت الذي قبله.

[178] ديوان أبو العتاهية: شرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي بيروت ط١، (١٤١٥هـ)، ص٣٩٩.

www.mtenback.com

قال الشاعر[١٧٩]:

يَعُدْنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيَّجْنَ دَاءَهُ ... أَلاَ إِنَّمَا بَعْضُ العَوَائِدِ دَائِيَا

وقيل: «إن حقّ العيادة يومٌ بعد يوم، أو يومٌ بعد يومين»، كما قال الشاعر[١٨٠]:

حَقُّ الْعِيَادةِ يَوْمٌ بَعْدَ يَومَيْنِ ... وَجَلْسَةٌ مِثْلُ خَلْسِ اللَّحْظِ بِالْعَيْنِ

لاَ تُبْرِمَنَّ عَلِيلاً فِي مُسَاءَلَةٍ ... يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تِسْآلٌ بِحَرْفَيْنِ

الاعتدال في المزاح والضحك:

من طبيعة الإنسان البشرية حب المزاح، والضحك، والمرح، وهي أمورٌ تُروِّح عن النفس، وتخفف عنها هموم الدنيا المتنوعة، ولكن الإفراط فيها يفقدها قيمتها وأهميتها، ويحول فائدتها وغايتها عن مسارها الصحيح، حيث يفقد صاحبها هيبته، ويقلل من شأنه بين أقرانه، وييسّر للسفهاء التطاول عليه، ويصبح بذلك عرضة للإهانة والسخرية من ضعاف النفوس.

ولا ينبغي ترك المزاح بالكلية، لأن ذلك يترك في شخصية المرء جفاءً وغلظةً غير مرغوبة، فينفر الناس منه.

والاعتدال في المزاح والضحك والمرح هو الذي يمكن أن يجلب السعادة ويضفي السرور، خاصة إن كان المزاح مناسبًا، وكذلك إن اقتصر الضحك على التبسم والبشر وإظهار الرضا، أي دون إفراط ولا تفريط.

قال سعيد بن العاص لابنه: «اقتصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويُجرِّئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفضّ عنك المؤانسين، ويوحش منك الصالحين»[١٨١].

---

[١٧٩] الأبشيهي: المستطرف (٣/ ٣١٣) ونسبه لسحيم العبد، في ديوانه (٢٣) أو للمجنون في ديوانه (٣١٢).

[١٨٠] الأبشيهي: المستطرف، ص (٣/٣١٤).

[١٨١] الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص ٢٩٩.

www.mtenback.com

والقول في الضحك كالقول في المزاح، إن تجافاه الإنسان نُفر عنه وأوحش منه، فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسمًا وبِشرًا.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التبسم دعابة، وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجبًا»[١٨٢].

وقال ابن عبد ربه[١٨٣]: «من ذلك قولهم: لا تكن حلوًا فتُسْتَرَط، ولا مُرًّا فتُعْقَى، أي تلفظ، يقال: أعقى الشيء إذا اشتدت مرارته»، قال الشاعر:

وَلاَ تَكُ آنِيًا حُلْوًا فَتُحْسَى ... وَلاَ مُرًّا فَتَنْشَبَ فِي الْحِلاَقِ

وتقول العامة: لا تكن حلوًا فتؤكل، ولا مُرًّا فتُلفظ.

وتوسط الأمور أدنى إلى السلامة[١٨٤].

وكثير المزاح والمرح والضحك إذا كان مغاليًا ينطبق عليه وصف ابن عبد ربه له بأنه حلو يزدرده الناس، ويستهينون به، وبالمقابل فإن الذي لا يمرح ولا يمزح ولا يبتسم كالثمرة المرة يلفظها الناس ولا يطيقون طعمها، قيل للخليل بن أحمد " إنك تمازح الناس، فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا، وقال الشاعر[١٨٥]:

أُرَوِّحُ القَلْبَ بَعْضِ الْهَزْلِ ... تَجَاهُلاً مِنِّي بِغَيْرِ جَهْلِ

أَمْزَحُ فِيهِ مَزْحَ أهل الفَضْلِ ... وَالمزحُ أَحْيَانًا جِلاَءُ الْعَقْلِ

وكما يرى ابن عبد ربه فإن التوسط في الضحك والمزاح والمرح يقي صاحبه استهانة الناس أو نبذهم له فيكون محبوبًا مقربًا إلى قلوبهم.

---

[١٨٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٣٠٢.

[١٨٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص١١١.

[١٨٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٣، ص٤٩. وفي مجمع الأمثال (لا تكن حلوًا فتسرط ولا مرًا فتعقى) (٢/٢٣٢).

[١٨٥] الغزي، أبو البركات محمد: المراح في المزاح، مراجعة وتعليق: د. السيد الجميلي، القاهرة، مكتبة الثقافة، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٤٧.

www.mtenback.com

ومما يروى في هذا المجال أن النبي ﷺ كان يضحك حتى تبدو نواجذه[١٨٦]، ولكن دون قهقهة تسقط الهيبة، أو إسراف في الضحك ينسي الجد، فما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسمًا[١٨٧]. وقد قال ﷺ لأصحابه عندما قالوا له: «إنك تداعبنا، قال: نعم غير أني لا أقول إلا حقًّا»[١٨٨].

وسيرة الرسول ﷺ حافلة بعدد من المواقف المرحة، والدعابات التي كان يُرَوِّحُ بها عن صحابته بين الحين والآخر.. ولنا فيه ﷺ قدوة حسنة.

والإنسان العاقل هو الذي لا يتعامل مع الناس بطبع واحد، لا يتغير، بل يكون مرنًا يتعامل حسب الموقف جدًا وهزلاً، بحسب حال من يتعامل معهم، فلكل مقام مقال، ولكل حادث حديث.

ولو أن المرء سار في أخلاقه ومعاملته مع الآخرين على نمط واحد، وطبع لا يتغير، لنفر الناس منه، سواء كان مفرطًا في جديته أو مزاحه.

وما زال الأشراف يمزحون، ويسمحون بما لا يقدح في أديانهم، ولا يغض من مروءاتهم.

ولذلك كان الشرط في المزاح ألا يخرج عن الحق ولا يتجاوزه إلى الباطل، وأن يكون خفيفًا لطيفًا محببًا، لا خدش فيه لخلق الحياء، ولا خرم للمروءة.

قال أبو الفتح البستي[١٨٩]:

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُوْدَ بِالْجِدِّ رَاحَةً ... يَجِمَّ وعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنْ المَزْحِ

---

[١٨٦] الترمذي: الشمائل المحمدية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص١٨٧ حديث رقم ٢٣٠ و ص ١٨٩ حديث رقم ٢٣٣. وكلاهما صحيح.

[١٨٧] المصدر نفسه ص١٨٧ حديث رقم ٢٢٩ وهو صحيح.

[١٨٨] المصدر نفسه من ص ١٨٦-١٩٩.

[١٨٩] الخولي، محمد مرسي: أبو الفتح البستي، حياته وشعره، دار الأندلس، القاهرة، ط١، (١٩٨٠م)، ص٢٤٠.

www.mtenback.com

وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَـــزْحَ فَلْيَكُـــنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِـــنَ الْمِلْـــحِ

وكان عمرو بن طوق التغلبي مرحًا في تعامله إذا كانت الحال مطابقـــة، وجـــادًا بعيدًا عن الهزل في الحال التي فيها الجد والحزم، قال أبو تمام يشير إلى هـــذه الخصلـــة في ممدوحه[١٩٠]:

الْجِـــدُّ شِـــيْمَتُهُ، وَفِيْـــهِ فَكَاهَـــةٌ سُجَحٌ وَلاَ جِدٌّ لِمَـــنْ لَـــمْ يَلْعَـــبِ

شَرِسٌ، وَيَتْبَـــعُ ذَاكَ لِيْـــنَ خَلِيقَـــةٍ لاَ خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَـــمْ تُقْطَـــبِ

وله أيضًا في مدح الحسن بن وهب[١٩١]:

لاَ طَـــائِشٌ تَهْفُـــو خَلاَئِقُـــهُ، وَلاَ خَشِنُ الوَقَارِ كَأَنَّهُ فِـــي مَحْفَـــلِ

فَكِهٌ يُجِـــمُّ الجِـــدَّ أَحْيَانًـــا، وَقَـــدْ يُنْضَى وَيُهْزَلُ عَيْشُ مَنْ لَـــمْ يَهْـــزَلِ

قَيْـــدُ الكَـــلاَمِ، لِسَـــانُهُ حِصْـــنٌ إِذَا أَضْحَى اللِّسَانُ اللَّغْبُ مِثْـــلَ المَقْتَـــلِ

وقد يظن بعض الناس أن المزاح عيبٌ لا يليق بالرجال الذين كانت لهم مكانـــة بارزة في مجتمعهم، أو كانوا من أولي الأمر والنهي، ولكن النصوص تشير إلى عكـــس ذلك، حيث نجد روايات كثيرة عن أصحاب الفكر وأولي النهى في المزاح والمرح مـــع المقربين منهم والأباعد.

ونؤكد على أن المزاح المحبب ما كان معتدلاً وسطًا لا إفراط فيـــه، ولا تجـــاوز للحد المعقول.

قال الحصري: «الإفراط في المزاح مجونٌ، والاقتصاد فيه ظرفٌ، والتقصـــير عنـــه ندامة»[١٩٢].

---

[١٩٠] التبريزي، الخطيب: شرح ديوان أبي تمام، قدم له ووضع هوامشه وفهارســـه: راجـــي الأسمـــر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (١٤١٣هـــ/١٩٩٢م)، ج١، ص٦٤.

[١٩١] التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، ج٢، ص١٩.

[١٩٢] الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، ج١، ص٤٧٦.

www.mtenback.com

وقد يسبب الإفراط في المزح تنافر القلوب والجفاء وربما إراقة الدماء كما قال صفي الدين الحلي[١٩٣]:

أَقْلِلِ الْمَزْحَ فِي الكَلاَمِ احْتِرَازًا ... فَبِإفْرَاطِهِ الدِّمَاءُ تُرَاقُ

قِلَّةُ السُّمِّ لاَ تَضُرُّ، وَقَدْ يَقْـ ... ـتُلُ مَعَ فَرْطِ أَكْلِهِ الدِّرْيَاقُ

القدوة في الاعتدال:

تميزت حياة النبي ﷺ في جميع جوانبها بالاتزان والاعتدال، وكان مثلاً في تطبيق المنهج الوسط الذي جاء به من عند الله سبحانه، حيث انعكس ذلك المنهج على تصرفاته وسلوكه القويم، فكانت حياته نبراسًا لأمته من بعده في التوازن والاعتدال.

وكان ﷺ حريصًا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، وبين حظ أنفسهم وحق ربهم، وبين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى من بعضهم غلوًا في جانب قوّمه بالحكمة، وردّه إلى سواء الصراط.

وهكذا تعلم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة[١٩٤].

وقد ضرب رسول الله ﷺ القدوة في الاعتدال بنفسه حين طبّق ذلك ليرى صحابته فعله ويقتدوا به، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، فصام حتى بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماءٍ فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام،

---

[١٩٣] ديوان صفي الدين الحلي، دار بيروت، ص ٦٥٢، والدِّرياق: التِّرياق.

[١٩٤] انظر: القرضاوي، يوسف: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، (١٤٠٥هـ)، ص١٤٤-١٤٥.

www.mtenback.com

فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة» وفي رواية: «فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام، وإنما ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدحٍ من ماء بعد العصر»[١٩٥].

فهذا الحديث يبين أن النبي ﷺ ترك الصيام في السفر ليقدم القدوة لأصحابه الذين شق عليهم الصيام، فأفطر ليفطروا، وسمى المخالفين له في إفطاره عصاة، لأن الغلو في مثل هذه الأمور يؤدي إلى المعصية.

ومن هديه ﷺ الاقتصاد في الموعظة، كما روى ذلك ابن مسعود رضي الله عنه وقد: كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا وبوب عليه البخاري بابًا بعنوان: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا[١٩٦]، وقد أخذ ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الأدب، فوجه عكرمة قائلاً: حدث الناس كل جمعة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملّ الناس هذا القرآن[١٩٧].

وأخذ أكثر الصحابة هذا الهدي النبوي الشريف وعملوا به.

فعن أبي وائل قال: كان عبدالله بن مسعود يذكّر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددتُ أنك ذكرتنا كلّ يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا[١٩٨]. وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ المسجد، فإذا حبلٌ ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبلٌ لزينب،

---

[١٩٥] مسلم: صحيح مسلم، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، حديث رقم (٢٦١٠) و (٢٦١١).

[١٩٦] الجامع الصحيح ١٦٢/١ برقم ٦٨.

[١٩٧] البخاري: الجامع الصحيح ١٣٨/١١ برقم ٦٣٣٧ باب ما يكره من السجع في الدعاء.

[١٩٨] البخاري: الجامع الصحيح ١٦٣/١ برقم ٧٠، باب من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة.

www.mtenback.com

فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «لا، حُلُّوه، ليصلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد»[١٩٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»[٢٠٠].

ولم يكن ﷺ يقبل من أصحابه أي نوع من الغلو والتطرف والغلظة في المعاملة، حيث وردت في سيرته مواقف عدة تبين هذا، ومنها الموقف مع ذلك الرجل الذي بال في المسجد فثار عليه الصحابة، وكادوا يوقعون به، فنهاهم النبي ﷺ عن زجره، وقال: «دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء أو سَجْلاً فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٢٠١]. ويقول ابن حجر العسقلاني معلقًا على هذه الأحاديث: «وفي هذه الأحاديث أن الغلو ومجاوزة القصد في العبادة وغيرها مذموم وأن المحمود من ذلك ما أمكنت المواظبة معه وأمن صاحبه العُجْب وغيره من المهلكات»[٢٠٢].

وكان يقول عن نفسه: «إن الله لم يبعثني معنتًا ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا»[٢٠٣].

وكان يراعي أحوال المأمومين في الصلاة، فمنهم العاجز الكبير الذي لا يقوى على الوقوف طويلاً، والأم التي تركت صغارًا وبالها مشغول، والصغير الذي يمل

---

[١٩٩] البخاري: الجامع الصحيح، باب ما يكره من التشديد في العبادة ٣/٣٦ برقم ١١٥٠.

[٢٠٠] البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، برقم (٦٧٠٤).

[٢٠١] البخاري: الجامع الصحيح كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا برقم (٦١٢٨) و(فتح الباري ١٠/٥٢٤).

[٢٠٢] فتح الباري ١٠/٥٢٦.

[٢٠٣] مسلم: كتاب الطلاق، باب ٤، الحديث (٢٩-١٤٧٨) (٢/١١٠٥).

www.mtenback.com

الإطالة في الوقوف أو الجلوس، ولذلك كان يقول: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أُطَوِّلَ فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوّز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[٢٠٤].

وكان ﷺ يغضب ممن يطيل بالناس في الصلاة، ويعدهم منفرين، أو فتانين، وذلك ليتشربوا منه خلق التيسير، وقد روى ابن مسعود أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيته غضب في موضع كان أشدّ غضبًا منه يومئذٍ ثم قال: «يا أيُّها الناس، إن منكم منفّرين، فمن أمّ الناس فليتجوّز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»[٢٠٥].

لو تأملنا حياة النبي ﷺ في مختلف جوانبها لوجدناها تفيض بالوسطية والاعتدال في كل أحوالها، ونستطيع أن نستخلص منها منهجًا معتدلاً في كل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وغيرها.

وإنّ الظروف الحاضرة لا تساعد على الشطط في الطلب ولا تقبل التقلب والتردد، فإذا كان التوسط في الأمور عمل الأنبياء فإننا بحاجة إلى التوسط في كل عمل نقوم به سواء العمل للدنيا أو العمل للآخرة اقتداءً بهم وسيرًا على نهجهم.

الوسطية في الأسرة:

جاء في الحديث: «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته: فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول»[٢٠٦].

---

[٢٠٤] البخاري: الصحيح ٢/٢٠١ باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي برقم ٧٠٧. في موسوعة الحديث الشريف.

[٢٠٥] المصدر نفسه، ٢/٢٠٠ برقم ٧٠٤.

[٢٠٦] البخاري: الجامع الصحيح، باب «قوا أنفسكم وأهليكم نارًا» برقم ٥١٨٨.

www.mtenback.com

قال ابن حجر: «أهل المرء ونفسه من جملة رعيته وهو مسؤول عنهم»[٢٠٧].

وقد أناطت الشريعة الإسلامية بكل فرد من أفراد الأسرة مسؤولية أسرية واجتماعية، ولكل واحد منهم حقوق وعليه تبعات، فأساس الأسرة وهما الزوجان قال تعالى في حقوق الزوجة وواجباتها: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٢٠٨]. وعلى الأولاد من البر مثل ما لقوا من رعاية في صغرهم «فالزواج علاقة إنسانية دائمة تلتقي فيها - كما قيل - إنسانية إنسان بإنسانية إنسانة - وهي ليست نفسية بحتة، ولا جسدية محضة، وإنما هي علاقة بشرية تجمع بين الأمرين، وتتواءم وطبيعة الإنسان التي تقف وسطًا بين الملائكية والحيوانية، وهو شركة بين هذين الإنسانين، بل بين هاتين الإنسانيتين، رأس مالهما الحب والوفاء والإيثار والرعاية والثقة»[٢٠٩].

يقول القرضاوي: والتشريع الإسلامي وسطٌ في شؤون الأسرة، كما هو وسط في شؤونه كلها، وسطٌ بين الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد، وبين الذين رفضوه وأنكروه، ولو اقتضته المصلحة وفرضته الضرورة والحاجة، وقد شرع الإسلام هذا الزواج بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق، والثقة بالعدل بين الزوجتين، فإن خاف ألا يعدل، لزمه الاقتصار على واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٢١٠].

وهو وسطٌ في الطلاق بين الذين حرموا الطلاق لأي سبب كان، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يُطاق، كالكاثوليك، وقريب منهم الذين حرموه إلا لعلة

---

[٢٠٧] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٩/٢٥٤.

[٢٠٨] سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

[٢٠٩] أبو النور، محمد الأحمدي: منهج السنة في الزواج، دار السلام بالقاهرة، ودار روضة الصغير بالرياض، ط٤، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ٤٢٨.

[٢١٠] سورة النساء: الآية ٣.

www.mtenback.com

الزنا، والخيانة الزوجية كالأرثوذكس، وبين الذين أرخوا العنان في أمر الطلاق، فلم يقيدوه بقيد أو شرط، فمن طلب الطلاق من امرأة أو رجلٍ كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب، وأصبح هذا الميثاق الغليظ أوهى من بيت العنكبوت.. إنما شرع الإسلام الطلاق، عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يجدي تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المطلق مرةً ومرة أن يراجع مطلقته، ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد، كما قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٢١١].

ينبغي لكل صاحب أسرةٍ أن يحسن التعامل والعشرة مع الزوجة، ويربي أبناءه تربية صالحة لتكون أسرته لبنة صالحة في مجتمع إنساني يبني ولا يهدم، ويعمر ولا يخرب.

وهذا يحتاج إلى انتهاج وسطيةٍ تربوية دقيقة لا إفراط معها ولا تفريط، وتشمل كل جوانب الحياة الأسرية، بما فيها العلاقات الزوجية والأبوية وحتى العلاقات مع الأقارب الذين لهم صلة وثيقة بأفراد الأسرة.

وصيانةً للأسرة من الانهيار والضياع، وتقوية لروابطها من البداية، لا بد من الاعتدال في المهر وعدم التفريط أو المغالاة فيه، وذلك تطبيقًا لقاعدة (لا ضرر ولا ضِرار)، لذا نجد الإسلام قد حرم نكاح الشغار صيانة لحق المرأة في المهر.

وسلب المرأة مهرها ظلمٌ وأي ظلم، فكذلك المغالاة في المهور، فإنه ظلمٌ وطغيان، ولا يخفى هذا الأمر على أحد، وما يجره من ويلات ومساوئ ومصائب وديون، ومتاعب على الزوجين والأفراد، والمجتمع والأسر، وكثيراً ما يقصد التفاخر والخيلاء والنفاق الاجتماعي في التغالي وملابس العروس، وحفلات الزفاف وما يتعلق بذلك[٢١٢].

---

[٢١١] سورة البقرة: الآية ٢٢٩، وانظر: د. القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، ص ١٤٦-١٤٧.

[٢١٢] الزحيلي: الاعتدال في التدين، ص٣٤٣.

www.mtenback.com

ولهذا حث الإسلام على الاعتدال في المهور، وبين فضائل ذلك في أحاديث نبوية كثيرة منها:

قوله ﷺ: «أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا»[٢١٣] وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: «ألا لا تغالوا في صدقات النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبيكم ﷺ»[٢١٤].

وغير هذه الأحاديث التي تحث على الاعتدال في المهور وتكاليف الزواج، مما فيه تأسيس لرابطة الزوجية، وتقوية لنواة الأسرة.

وتربية الأبناء تستدعي عدم الإفراط في توجيههم، فلا يبذل الوالد المال بإسراف أمامهم، ولا يلبي لهم كل طلباتهم، ولا يترك تأديبهم كليًا في حال الخطأ، ولا يهمل تنبيههم عند الحاجة إلى التنبيه، فهذا ينشأ عنه جيلٌ لا يحترم كبيرًا ولا عالمًا ولا معلمًا، ولا يرحم صغيرًا، ولا اعتبار عنده لقيم أو أخلاق.

وفي جانبٍ آخر ينبغي عدم الإفراط في عقابهم إذا أذنبوا أو أخطؤوا، فيبالغ في أذيتهم، وينفرهم من الحياة معه في بيته، فينشأ عن ذلك تمردٌ وضياع وغلو في التهرب من تبعات الحياة، مما يلقي بهم في أيدي مروجي المخدارت، والمفسدين، والعصابات الإجرامية، فيصيرون وبالاً على أسرهم ومجتمعهم.

ولا بد أن المتأمل لأحوال الأسر الناجحة، والمستقرة، سيجد أن المنهج الذي اتبعه رب الأسرة في تربيتها هو المنهج الوسط، والمتابعة المدروسة، والمعاملة المتزنة، التي تقوم على الروية وتحري الدقة في التعامل مع الأولاد، وخلطهم بالنفس، وإدراك حاجاتهم المشروعة النافعة، ومنعهم من مزالق الخطأ مهما كانت بسيطة في بدايتها لأن

---

[٢١٣] الحاكم، النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطار، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤٠١هـ/١٩٩٠م) ١٩٤/٢ برقم٢٧٣٢.

[٢١٤] المصدر نفسه: ١٩١/٢ برقم ٢٧٢٥-٢٧٢٨.

www.mtenback.com

التساهل في قليل الأخطاء يمد لهم الأسباب إلى غيرها، لكن ذلك يجب أن يكـــون في وعي ومعرفة وعلم، وألا يتساهل المربي في المنزل أو المدرسة في بناء أسس العلاقـــات والقيم فلا يقسوا مضيقًا على الشباب ليعيشوا على الطريقة التي كانت في زمنـــه، ولا يلين فيترك لهم الحبل على الغارب فتضل بهم مسالك الحياة، ولكن تربية وسطية بـــين هذا وذاك ينتج عنها جيل وسط في سلوكه وسائر شؤون حياته.

التطرف:

التعصب والغلو من صفات الضعف وعلامات الجهل، تؤدي إلى عمى البصـــيرة وضلال العقل، حين يرى المغالي نفسه على الحق، وغيره على الباطل، فلا صواب إلا ما ذهب إليه، ولا حسن إلا ما وافق هواه، وقد عرف التطرف والغلو بأنه: «مجاوزة الحـــد بأن يزاد في الشيء، في حمده، أو ذمه، على ما يستحق ونحو ذلك». وأنه: المبالغـــة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الـــذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[٢١٥].

والغلو واقع قديم، فما أرسل الله نوحًا عليه السلام إلا لغلو قومه، وقد ظهـــر الغلو في بني إسرائيل وبلغوا فيه مبلغًا كبيرًا، وذمهم الله تعالى لذلك فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ﴾[٢١٦]. وغالى بعضهم في العصور الأوروبية الوسطى بادعائهم الحـــق الإلهي في الحكم، وملكيتهم لصكوك الغفران، ومعاداة العلم والعلماء، مما ترتب عليـــه ظهور حركات التمرد والإلحاد، وإحياء المذاهب المادية القديمة.

---

[٢١٥] سورة طه: الآية ٨١، وانظر: عبدالرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـــ، ص ٨١-٨٢.

[٢١٦] سورة المائدة: الآية ٧٧.

www.mtenback.com

ومن دوافع الغلو التي حذر منها القرآن الكريم التقليد والاتباع الأعمى الـــذي يقود إلى الغلو في الإصرار على الباطل والتمادي فيه، ولهذا ذم الله تعالى هذه الخصلـــة في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾[٢١٧].

فالاتباع الأعمى، والتقليد للآباء على غير هدى أمرٌ مذموم شرعًا وعقـــلاً، ولا يؤدي إلى خيرٍ أبدًا.

«الغلو في الدين، والتقصير في أحكامه مرضان خطيران، وينشآن عن أمـــراضٍ نفسية، وينبعثان من مصادر خبيثة، وقد بين الإسلام هذه الأمراض، وكشـــف عـــن عوارضها، وأن الشيطان وراءها، وتقوى من أعداء الله والدين، وحذر الإسلام منهـــا للوقاية، والابتعاد عنها، ثم وصف الدواء الناجع لها، ورسم الخطة السديدة، وحـــدد المنهج القويم، ليبقى المسلم معافى في عقيدته وعبادته، ومعاملاته وسلوكه ، ويســـير على الصراط المستقيم الذي شرعه رب العالمين، من أحكام تتحملها النفوس، ولا تســـأم من صعوبتها، أو ترهق من أدائها، أو تعجز عن تنفيذها، وهي في الوقت ذاته تســـعى لسد منافذ الشر، ودرء باب الفتن، والحدّ من الإسراف في الملذات، وعـــدم الانغماس في الشهوات، ليبقى الإنسان سويًا في جميع شؤونه، فلا يقطع علاقته مع ربه في لحظة مـــن اللحظات، ويحافظ على صلته السوية بالمجتمع، ولا يسيء إليها، فيشعر بالغربة في وطنه وأهله، ويحكم علاقته مع نفسه، فلا يقسو عليها أو يفرط في حقوقها، أو يحرمها مـــا أحله الله تعالى من الطيبات، فتكبو به في منتصف الطريق»[٢١٨].

---

[٢١٧] سورة البقرة: الآية ١٧٠.

[٢١٨] الزحيلي: الاعتدال في التدين، ص٣١٥-٣١٦.

www.mtenback.com

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢١٩].

فالقرآن أمر بالاستقامة، وهي الاعتدال في المضي على النهج المستقيم، ونهى عن الطغيان الذي هو الغلو والمبالغة التي يصبح الدين معها عسيراً بدلاً من اليسر ورفع الحرج الذي جاء به.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على سواه».

وفي رواية: «إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانه»[٢٢٠].

وقد نهى النبي ﷺ أمته عن الغلو في الدين فقال: «.. إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٢٢١].

قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا[٢٢٢].

قال النووي: «هلك المتنطعون، أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[٢٢٣].

---

[٢١٩] سورة هود: الآية ١١٢.

[٢٢٠] رواهما مسلم: كتاب البر والصلة والآداب برقم ٢٥٩٣ و ٢٥٩٤ ورقمهما في موسوعة الحديث الشريف (٦٦٠١) و (٦٦٠٢).

[٢٢١] رواه أحمد: (١/٢١٥، ٣٤٧)، وانظر: عبدالرحمن بن معلا اللويحق: الغلو في الدين، ص ٦٤-٦٩.

[٢٢٢] رواه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون حديث (٧-٢٦٧٠) (٤/٢٠٥٥) وفي الموسوعة رقم (٦٧٨٤).

[٢٢٣] النووي، محيي الدين أبجد زكريا: شرح صحيح مسلم (١٦/٢٢٠).

www.mtenback.com

والتشديد على النفس كان دائمًا سببًا في وقوع التشديد من الله على النـــاس، وذلك كما ورد في الحديث: «لا تُشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قومًـــا شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانيـــة ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[٢٢٤].

ومن الدوافع التي تقود إلى التطرف والغلو كثرة التسخط، وعدم الرضا بما قسم الله، واعتقاد الفوقية على الآخرين، فيؤدي به هذا الحال إلى رفـــض آراء الآخريـــن، والتعصب لرأيه، بل ورفض الأحوال التي لا شأن للناس بها، وإنما هي من السنن الـــتي خلق الله الكون عليها، وذلك كما قال الشاعر[٢٢٥]:

يَتَمَنَّى الْمَـــرْءُ فِي الصَّيْـــفِ الشِّـــتَا ... فَـــإِذَا جَـــاءَ الشِّـــتَا أَنْكَـــرَهْ

لَيْسَ يَرْضَى الْمَـــرْءُ حَـــالاً وَاحِـــدًا ... قُتِـــلَ الإِنْسَـــانُ مَـــا أَكْفَـــرَهْ

ومن الغلو ما يتعلق بالمعتقدات والإيمان، وأمثلته كثيرة، منها الغلـــو في الأئمـــة والأولياء، والغلو في البراءة من الكفار والفساق والمنافقين، والغلو في التكفير والخـــروج على الأئمة والحكام، والغلو في المذهبيَّة والطائفية، واعتقاد كل منهم أنه على حـــق وأن من سواه على باطل والمبالغة في تجريم الناس والشك فيهم، وغير ذلك.

وهذا الغلو خطر يؤدي إلى الفرقة والضعف والتمزق، وتنشـــأ عنـــه الطائفيـــة والمذهبية التي تعزل نفسها وتتهم غيرها، وتمزق وحدة المجتمع وتفرق جماعته علـــى آراء وأقوال ما أنزل الله بها من سلطان.

وليس الغلو ممنوعًا في العبادة وحدها بل يجب أن يبتعد المرء العاقل عن التطرف والغلو في كل أمر، من أمور الدنيا وأمور الآخرة، فلا خير في التطرف ولا خير في الغلو ولاسيما في التعامل مع غيره.

---

[٢٢٤] أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب الحسد (٤٩٠٤).

[٢٢٥] مجلة الرسالة المصرية: العدد ٦٦٨، جمادى الأولى ١٣٦٥هـ.

www.mtenback.com

الوسطية في البلاغة والأسلوب:

وهي ما يتعلق بوسيلة الكلام لتبليغ المعنى المراد بإيجاز ووضوح دون إبهامٍ يوقع السامع في الحيرة والاضطراب فلا يفهم المراد إلا بعد استفسارٍ وطلب إعادة أو إسهاب يمل السامع بالتطويل والتكرار.

وفي الحديث: «وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقًا، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون»[٢٢٦].

قال المبرد: «وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدق في المنطق، والقصد، وترك ما لا يحتاج إليه، قوله لجرير بن عبدالله البجلي: يا جرير إذا قلت فأوجز، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف»[٢٢٧].

والتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه، وما جرت به عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة، كل ذلك من التصنع المذموم، ومن التكلف الممقوت.

وقال الجاحظ عن الوسطية البلاغية الأسلوبية: «فالقصد في ذلك أن تجتنب السوقي والوحشي، ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ، وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني، وفي الاقتصاد بلاغ، والتوسط مجانبة للوعورة، وخروج من سبيل من لا يُحاسب نفسه».

---

[٢٢٦] رواه أحمد (٤/١٩٣، ١٩٤) من حديث أبي ثعلبة وهو عند الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر، وحسنه. وقال: الثرثار: كثير الكلام، والمتشدق: الذي يتطاول على الناس في الكلام. ونصه: عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: إنّ من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون، قالوا: يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون.

[٢٢٧] المبرد، الكامل، ج١، ص١٠.

www.mtenback.com

وليكن كلامك ما بين المقصر والغالي، فإنك تسلم من الهجنة عند العلماء، ومن فتنة الشيطان»[٢٢٨].

ومن هذه النظرية الوسطية في اللغة والبلاغة نجد أن الجاحظ رفض الغريب المتقعر، وسخر منه، كقوله تعقيبًا على بعض النصوص المتسمة بالغرابة، والوحشية، والتقعر: «إن كانوا إنما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة، فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة، وإن كانوا إنما دونوه في الكتب، وتذاكروه في المجالس، لأنه غريب، فأبيات من شعر العجاج، وشعر الطرمّاح، وأشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الوصف على أكثر من ذلك»[٢٢٩].

وكذلك رفض المبالغة في تنقيح الصياغة اللغوية وتهذيبها، وقد عرف البليغ بقوله: «يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا، ومن قد تعود حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ، وقد نظر في صناعة المنطق ومدار الأمر على إفهام كل قومٍ بمقدار طاقتهم»[٢٣٠].

ولا تقتصر الوسطية عند الجاحظ على الخطابة بمفهومها الواسع الذي يشمل المناظرة والمحاورة، والمناقلة، والمناثرة، والنصيحة، وإنما يتجاوزها إلى الكتاب؛ حيث ينبغي أن يراعي فيه التوسط اللغوي، فيشاكل أقدار المتلقين، وينشد إفهامهم، وبذلك تمتزج الوسطية الأسلوبية بنظرية المقامات في الكلمة المسموعة، والمقروءة.

---

[٢٢٨] الجاحظ: البيان والتبيين، ١/٢٥٥.

[٢٢٩] المصدر السابق، ١/٣٧٨-٣٧٩.

[٢٣٠] المصدر السابق، ١/٩٣.

www.mtenback.com

لنقرأ هذا النص: «وليس الكِتَاب إلى شيءٍ أحوج منه إلى إفهام معانيه، حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة، والحشو، ويحطه عن غريب الإعراب ووحش الكلام، ولا له أن يهذبه جدًا وينقحه ويصفيه ويروقه، حتى لا ينطق إلا بلب اللب، وباللفظ قد حذف فضوله وأسقط زائده، حتى عاد خالصًا لا شوب فيه، فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهامًا مرارًا وتكرارًا، لأن الناس قد تعودوا المبسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد عن عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها»[٢٣١].

وحين مدح الجاحظ الكُتَّابَ استند في ذلك إلى وسطيته اللغوية فقال في «البيان والتبيين»: «أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الُكتَّاب، لأنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا، ولا ساقطًا سوقيًا»[٢٣٢].

وذكر بعض الأدلة التي تدعو إلى التوسط، وتنفر من التشادق، منها قول الخريمي في تشادق علي بن الهيثم[٢٣٣]:

لا تَشادَقْ إِذَا تَكَلَّمْتَ وَاعْلَمْ أَنَّ للنّاسِ كُلِّهِمْ أَشْدَاقَا

وكلام بشر بن المعتمر: «وإياك والتوعر، فإن التوعر يُسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويُشين ألفاظك، ومن أراد معنىً كريمًا فليلتمس له لفظًا كريمًا، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، على أن تفهم العامة

---

[٢٣١] الجاحظ: الحيوان، ج١، ص٩٠، وانظر: د. عبدالفتاح عثمان: التفكير البلاغي عند المعتزلة، (١٤٠٤هـ).

[٢٣٢] الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٣٧.

[٢٣٣] الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١٣١.

www.mtenback.com

معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفّاء، فأنت البليغ التام»[٢٣٤].

وقال الخريمي[٢٣٥]:

وَخَيرُ حَالِ الفَتَى فِي الْقَولِ أَقْصَدُهَا بَيْنَ السَّبِيْلَيْنِ لا عِيٌّ وَلا هَذِرُ

الوسطية في واقعنا المعاصر:

مع تقدم الإنسان، وكثرة البشر في أصقاع الأرض، ومع التقارب الذي يحصل بين الناس بسبب التبادلات الثقافية والاقتصادية والعلمية وتطور الاتصالات أصبحت الوسطية في التعامل أمرًا مهمًا، والاعتدال في كل شؤون الحياة مطلبًا ملحًا، ولا مفر من النهج الوسط لتتم عملية التطور في ضوء الحياة العصرية دون التخلي عن الثوابت، ودون التبعية المذلة، ولتستطيع المجتمعات أن تنهض على مبادئ الفضيلة، بعيدًا عن كل عوامل الغلو والتطرف والانحراف.

فالوسطية كما بينا تجنب المجتمع كثيرًا من الآفات والمهلكات، وتقي الناس شرور الصراعات المختلفة، والمصائب والنوازل الأليمة، وتوفر أسباب النهوض السليم، والتنمية المتزنة، دون حيف وظلم، ودون إرهاق وعنت.

وتأمُّل أحوال كثير من المجتمعات في وقتنا الحاضر يدعونا لوقفة مع الوسطية، حيث نجد الانهيار الاجتماعي والأخلاقي، والانحراف في القيم، وانتشار الفواحش والمنكرات حيث تموت الوسطية ويختفي الاعتدال السليم.

كما نجد الفساد ينخر في أركان المجتمع الذي يغالي في التعامل مع الناس، فيقسمهم إلى طبقات، ويميز بين الأبيض والأسود، أويفضل الأغنياء على الفقراء، أو يعتقد في فئة اعتقادات مقدسة، فتكون النتائج مصائب وخيمة، وسرعة انهيار.

---

[٢٣٤] الجاحظ: البيان والتبيين، ١٣٦/١.

[٢٣٥] الدجوي: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، ص١١٠.

www.mtenback.com

وهناك مجتمعات اليوم تشهد حروبًا طائفية، وويلات وكوارث بسبب النزاعات والاختلافات التي جرها الغلو والتعصب الأعمى، وجلبها التطرف واللجوء إلى القوة في حل المشكلات، فلم يزد النار إلا اشتعالاً، والفوضى إلا انتشارًا.

ولعل نظرة فاحصة تطلعنا على إحصائيات مذهلة لعدد القتلى نتيجة الصراع الطائفي، أو الاختلاف الفكري، أو الظلم والعدوان أوالكيل بمكيالين، وغير ذلك من النوازل والنكبات التي نتجت عن اختيار الطريقة المنحرفة، والأسلوب المتطرف في التعامل مع الآخرين.

إنه لا سعادة ولا طمأنينة إلا بانتهاج الوسطية واتباع المنهج الوسط، ولا استقرار إلا برد الاعتبار للآخرين، وعدم التسلط عليهم، وإهانتهم والحط من قيمتهم، ولا طمأنينة إلا بمعالجة المشكلات علاجًا سليمًا مبنيًا على قواعد العدل، ثم قواعد العقل السليم الذي لا يخالف العَدل، وإنما يدعمه بالاجتهاد والقياس ويربطه بحاجات الناس ويسهل عليهم الأمر ولا يكلفهم غير طاقتهم.

وبنظرة متأملة نجد كثيرًا من المجتمعات المعاصرة تفتقد التوازن، وتعيش حرمانًا من الاستقرار، وتعاني جملة من القوانين والمعتقدات والعادات التي هي من نوازع الغلو والإفراط أو التهاون والتفريط والابتعاد عن الوسطية والاعتدال.

فبالإضافة إلى التطرف في التمييز العنصري والطائفي، وهيمنة طبقة الأغنياء على حساب الطبقة الفقيرة، وتطبيق القوانين لصالح الأقوى، نرى أحوالاً تنذر بالشر، وتعد مقدمات لانهيار الأخلاق، والمجتمعات والشعوب حيث الأنانية والشخصية والابتزاز وانتشار الفقر والجوع، وحيث تعيش مجتمعات بأكملها تعاني الفقر والمجاعات، في الوقت الذي تُلقى فيه الأطعمة في النفايات أو للحيوانات في كثير من الدول الغنية التي لا تشعر بحاجة الفقراء وضرورة مواساتهم، ومن أشد ما يسبب انهيار المجتمعات ما يسمى سباق التسلح، حيث تنفق أموال لا تحصى على التصنيع الحربي، لتكون وقودًا

www.mtenback.com

للحروب والصراعات التي يباد فيها الإنسان، بينما لا تجد مشروعات التنمية في الدول الفقيرة مساعدة حقيقية ترفع عوز المعوزين وتقلل حاجات المحتاجين، وكذلك التعامل بمكيالين، حيث يدعم القوي الباغي في كل تصرفاته، ويؤيد أي إجراء لحماية أمنه، بينما يعد أهل البلاد المعتدى عليهم ظالمين متجاوزين لحدود التعقل، بل ومتطرفين إذا ما واجهوا المغتصب، وقاوموه.

إن عدم التوازن في كثير من الأمور في عالمنا سيجر إلى مصائب عديدة، والإصرار على المضي قدمًا في طريق الإفراط يشير إلى الضياع، وعدم الاعتدال، وهذا بدوره سيقود إلى الهاوية.

وفي ذلك قال محمود سامي البارودي[٢٣٦]:

تَمَهَّلْ وَلاَ تَعْجَلْ إِذَا رُمْتَ حَاجَةً ... فَقَدْ يَلْحَقُ الْخُسْرَانُ مَنْ يَتَوَرَّطُ

فَذُو الحَزْمِ يَرْعَى الْقَصْدَ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... وَذُو الْجَهْلِ إِمَّا مُفْرِطٌ أَوْ مُفَرِّطُ

لا شك أن الاعتدال والغلو نزعتان تناقض كل واحدة منهما الأخرى، وكلتاهما طبع متأصل في النفس البشرية، ولكل دوافعه ومحركاته من التغيرات والتقلبات التي تؤثر في النفس سلبًا وإيجابًا.

من هنا يتضح الفارق جليًا عند المقارنة التي تشمل كل مجالات الحياة، ففيما يتعلق بالأفراد فإن صاحب العقل المتزن، الحليم الذي ينهج نهجًا وسطًا في قوله وفعله، وفي علاقاته ومعاملاته، وفي أسرته وبين أقاربه، وفي حياته بعامة، سيكون إيجابيًا نحو مجتمعه، فهو ينفع ولا يضر، ويبني ولا يهدم، ويفيض بالعطاء والخير، على عكس من انحرف وسلك مسلكًا متطرفًا إفراطًا أو تفريطًا، حيث يحمل لمجتمعه الشر والضرر، ويصبح عالةً على الناس من حوله، ويعيش مكروهًا لا يرغب مصاحبته أحد، ولا

---

[٢٣٦] البارودي، ديوانه، ص٣١١.

www.mtenback.com

يجتمع معه إلا من كان على شاكلته ممن تأصلت فيهم طبيعة الانحراف والتهور والمغامرة.

كما نجد أن الأمن مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمبدأ الاعتدال والتوازن والعدل الاجتماعي، والمجتمع الذي ينهج في قضاياه وسياسته، ومشاريعه الأمنية نهجًا وسطًا لابد أن يعيش حياة استقرار مميزة، وهذا مشاهد وملموس لدى عدد من المجتمعات المعاصرة اليوم، وخاصة تلك التي تسير وفق سياسات عادلة، وفي المقابل فإن المجتمعات الأخرى «أي تلك التي سلكت مسلكًا متطرفًا في سياستها وقضاياها الأمنية، وعاشت جوًا من البغي والتسلط» محرومة من الأمن والطمأنينة، جانحة إلى التطرف، باعثة لبذور الشقاق والصراع مهلكة نفسها ومن معها ومن حولها.

والمجتمعات التي اعتمدت منهجًا وسطًا في التربية الفكرية والثقافية لأبنائها تعيش نهضةً إنسانية وعلمية وثقافية، وتتميز بالثقافة العالية المتزنة لأبنائها، التي تنعكس آثارها على كل المرافق الاجتماعية، والمؤسسات التربوية والثقافية والعلمية، وتنمي النظرة الخيرة نحو الآخرين، وتزرع بذور الحب والاحترام للإنسان، وتوفر أرضية التفاهم، وتمتن أواصر التعاون والأخوة.

أما المجتمعات التي ربت أبناءها على منهج منحرف، وفكر مملوء بالخرافات والمعتقدات الباطلة، أوثقافة عنصرية أو مشوهة، فهي غارقة في ظلمة الكراهية والحقد على الآخرين، وتعيش أوهامًا في التمييز المبني على الجنس أو اللون أو اللغة، مما جعل علاقتها بالآخرين علاقة التعالي والفخر والاختيال، وهذا بدوره قادها إلى ويلات الصراع والتطرف والغلو.

والبحث عن العدل والوسطية يجب أن يشمل القوانين المتعلقة بتنظيم الأسرة، والعمل، والروابط الاجتماعية المختلفة، كما يجب أن يشمل العلاقة بين طبقات المجتمع المختلفة وفئاته جميعها، فإن كانت القوانين تسوي بين أفراد المجتمع، وتعطي لكل

www.mtenback.com

إنسان حقوقه، سادت حياة الاستقرار والراحة النفسية، وإذا كانت تراعي التركيبة الفسيولوجية للذكر والأنثى، وتراعي المتطلبات والرغائب والحاجات لكل جنس أو فئة أو طائفة، فإنها لابد أن تعيش مستقرة هانئة، لا تنغصها المشاحنات، ولا تشوبها التنازعات.

بينما نفقد هذه الميزة في المجتمعات التي تميز بين أبنائها، وتميز بين طائفة وأخرى تمييزاً يهضم الحقوق، ويفرق في الواجبات، مما يؤجج نار الحقد، ويشعل الحروب والمنازعات والبغضاء في المجتمع الواحد أو في المجتمعات الإنسانية عامةً. وإن مما يؤجج الخلاف بين المجتمعات ما يتعلق بحياة الناس الخاصة أو يمس حاجاتهم الدنيوية والسياسية والاقتصادية، ولا شك أن دخل الفرد في المجتمع يزداد إذا كان النظام المالي المتبع يراعي العدالة في توزيع الثروة، ويراعي أحوال كل الطبقات من الناحية الاقتصادية، ويحرص على توفير المتطلبات الضرورية، والحاجات الأساسية لكل أبناء المجتمع دون تمييز أو محاباة في فرص الكسب. إنّ شعور جماعة من الناس بأهميتها وفضلها على إخوانهم بالمجتمع نفسه، وأخذها نصيباً أكثر مما يأخذه غيرها أو إتاحة فرص أفضل لفئة من المجتمع على حساب فئات أخرى لاعتبارات إقليمية أو عائلية أو عرقية أو مذهبية وغير ذلك إذ يسبب شعوراً بالغبن لدى الناس ويسبب بعد ذلك محاولة وضع المعادلة الصحيحة التي تعطي الناس حقوقهم بالسوية ولا تتحقق المعادلة الصحيحة إلا بالمغالبة وما يتولد عنها من مشكلات وفتن تضر بمصلحة الجماعة ومصلحة الأفراد.

www.mtenback.com

الفهارس

www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً... الآية﴾	١٤٣	٧
	﴿وإذا قيل لهم اتبعوا... الآية﴾	١٧٠	٨٢
	﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد... الآية﴾	١٨٥	٢٨، ٤٠
البقرة	﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف... الآية﴾	٢٢٨	٧٨
	﴿الطلاق مرتان فإمساك... الآية﴾	٢٢٩	٧٩
	﴿حافظوا على الصلوات... الآية﴾	٢٣٨	٨
	﴿وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة... الآية﴾	٣	٧٨
النساء	﴿يريد الله أن يخفف عنكم... الآية﴾	٢٨	٢٨، ٤٠
	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين... الآية﴾	١٣٥	٦٧
	﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم... الآية﴾	٢٧-٣٢	١٧
	﴿منهم أمة مقتصدة... الآية﴾	٦٦	١٦
المائدة	﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا... الآية﴾	٧٧	٨١
	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا... الآية﴾	١٠١	٤١
الأعراف	﴿يا بني آدم خذوا زينتكم... الآية﴾	٣٠	٥٨
هود	﴿فاستقم كما أمرت... الآية﴾	١١٢	٨٣
النحل	﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾	١٢٥	٢٩
	﴿وآتِ ذا القربى حقه... الآية﴾	٢٦-٢٧	٥٠
الإسراء	﴿ولا تجعل يدك مغلولة... الآية﴾	٢٩	٢٦
الكهف	﴿وكان أمره فرطا... الآية﴾	٢٨	٢٠
	﴿إنا نخاف أن يفرط علينا الآية﴾	٤٥	٢٠
طه	﴿ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي... الآية﴾	٨١	٨١
	﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم... الآية﴾	٨١	٦٠

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الحج	﴿ومن الناس من يعبد... الآية﴾	١١	٧
الفرقان	﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا... الآية﴾	٦٧	٤٨
القصص	﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار... الآية﴾	٧٧	٣٩
لقمان	﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف... الآية﴾	١٧-١٩	١٥
الأحزاب	﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين... الآية﴾	٣٥	٣٧
الزمر	﴿أن تقول يا حسرتا... الآية﴾	٥٦	٢٠
فصلت	﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة... الآية﴾	٣٤	٢٩
الشورى	﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم... الآية﴾	٥٢	٢٨
الفتح	﴿ويهديك صراطاً مستقيماً... الآية﴾	٢	٢٨
الحديد	﴿ورهبانية ابتدعوها... الآية﴾	٢٧	٣٠
القلم	﴿قال أوسطهم... الآية﴾	٢٨	٨

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع»	٢٢
«ألك مال ؟ قال: نعم»	٦٢
«أمسك عليك بعض مالك»	٥٠
«إن أبغضكم إليّ وأبعدكم»	٨٥
«إن الدين يسر،....»	٤١
«أن رسول الله ﷺ كان يضحك حتى تبدو نواجزه»	٧٤
«إن رسول الله نهاك عن الفرطة في الدين»	٧٥
«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه»	٨٣
«إن الله لم يبعثني مُعْنِتاً ولا مُتعنتاً»	٧٦
«أنا فرطكم على الحوض»	٢٠
«أنتم الذين قلتم كذا»	٣٠
«إني لأقوم في الصلاة»	٧٧
«أولئك العصاة»	٧٥
«إياكم والغلو في الدين»	٨٣
«حدثوا الناس بما يعرفون»	٥٧
«خيار الأمور أوساطها»	٧
«دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل...»	٧٥
«دعوه، وأهريقوا على بوله....»	٧٦
«زر غباً تزدد حباً»	٦٨
«كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة»	٧٥

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»	٧٧
«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا»	٥٩
«لا تشددوا على أنفسكم»	٨٤
«لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام»	٦١
«لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطا»	٢١
«ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة»	٣٩
«لو قلت نعم لوجبت»	٤١
«ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن...»	٥٠
«ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما»	٣٠
«ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه...»	٦١
«مروه فليتكلم، وليستظل...»	٧٦
«هلك المتنطعون»	٤٦
«وفي بضع أحدكم صدقة»	٣١
«يأتي أحدكم بما يملك»	٤٩
«يا أيها الناس إنّ منكم منفرين...»	٧٧
«يا جرير إذا قلت فأوجز»	٨٥
«يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً...»	٣١

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ب ـ		
أكذب	الكرب	المتنبي	٢	٨
عليك	صعبا	المتنبي	١	٩
أقلل	بعتاب	منصور النمري	١	٣٦
إذا	تعاتبه	بشار بن برد	٢	٣٦
عدوك	الصحاب	ابن الرومي	٣	٤٥
إذا	غُبّاً	ابن الرومي	١	٦٩
الجد	يلعب	أبو تمام	٢	٧٣
		ـ ت ـ		
اقنع	للإرادات	ـ	٢	٢٦
		ـ ح ـ		
أفد	المزح	أبو الفتح البستي	٢	٧٢
		ـ د ـ		
إذا	العندا	ـ	١	٧
ذلك	وَعَدُوا	ضخر العي	١	٢٠
سجيته	القصد	ابن زيدون	١	٣٣
أجمل	الجد	دوقلة المنبجي	١	٣٥
ماعابها	قصد	دوقلة المنبجي	١	٣٦
ووضع	الندى	المتنبي	١	١٢
لست	الفهد	ـ	١	٦١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أقلل	استجده	—	٢	٦٩
		— ر —		
أتم	الكبرُ	—	١	٢٧
أرباً	الأمورُ	زيد بن عمر بن نفيل	٧	٢٥
ودع	مقتر	—	٢	٤٨
توقف	تزورُ	لبيد	١	٦٩
يتمنى	أنكره	—	٢	٨٤
وخير	ولاهذر	الخريمي	١	٨١
		— ط —		
لا تذهبن	شططا	أبو العتاهية	١	٨
حب	الوسط	—	١	٩
تمهل	يتورط	محمود سامي البارودي	٢	٩٠
		— ع —		
إذا	مطلعا	مالك بن حزيم الهمداني	١	٢٧
وكن	سامع	علي بن أبي طالب	٣	٤٥
		— ف —		
كانت	طرفا	—	١	١٠
كانت	طرفا	—	١	٣٥
اعطوا	سرفُ	جرير	١	٤٨
		— ق —		
إنك	خلق	عامر بن خالد	١	٢٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
عليك	الخلق	سالم بن أبي واصبه	٣	٣٤
أنا	الأسواق	حافظ إبراهيم	٤	٣٩
أقلل	تراقُ	صفي الدين الحلي	٢	٧٤
ولاتك	الحلاق	–	١	٧١
لا تشادق	أشداقا	علي بن الهيثم	١	٨٧
ـــ ك ـــ				
عليك	مسلكا	–	١	٦٨
ـــ ل ـــ				
وعدل	الأميل	شمر	٢	١٥
إذا	المتطاولُ	المعري	٢	١١
فلا	شاغله	جرير	١	٢٢
قد	الزلل	–	١	٢٣
بين	قتل	ابن الوردي	١	٤٧
ولاتكن	والبخلُ	محمود سامي البارودي	١	٥١
أروّح	جهل	–	٢	٧١
لا طائش	محفل	أبوتمام	٢	٧٣
ـــ م ـــ				
هم	بمعظم	زهير	١	٨
جريء	يظلم	زهير	٢	٢٣
ثلاث	السقام	الشافعي	٢	٥٩
ـــ ن ـــ				
وأنا	شينا	عمرو بن كلثوم	٥	٢٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أمر	وألين	قيس بن الخطيم	١	٢٤
لقد	يأتيني	عروة بن أذينه	٢	٣٥
فما الفِيل	جلاسنا	–	١	٦٨
أقلل	هجرانه	أبو العتاهية	٣	٦٩
حق	بالعين	–	٢	٧٠
ـــ ي ـــ				
يميت	سقيه	–	٢	٦٠
يعدن	دائيا	–	١	٧٠

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«إفراط العقل مضر بالجد»	٦٦
«البطنة تأفك الفطنة»	٦١
«بين الممخة والعجفاء»	٣٣
«خير الأمور الوسط»	١٠
«خير الأمور الوسط وشر الأمور الشطط»	٣٢
«رب عجلة تهب ريثاً»	٢٣
«الرشف أنقع»	٥٦
«لا تكن حلواً فتأكل ولا مراً فتلفظ»	٧١
«لا تكن حلواً فتسرط ولا مراً فتعقى»	٧١
«لا خير في السرف ولا سرف في الخير»	٣٣

www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إبراهيم، حافظ:

ديوانه، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، دار الكتب المصرية ١٩٣٧م.

إبراهيم، د. عبد الحميد وآخرون:

جوانب من الحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، مركز الدراسات الإسلامية، اربد الأردن.

الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

ابن الأثير، المبارك بن محمد:

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، أنصار السنة المحمدية، لاهور باكستان.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.

الأحمدي، أبو النور:

منهج السنة في الزواج، دار السلام، القاهرة ودار روضة الصغير، الرياض، ط٤، ١٤١٣هـ.

الأصمعي:

ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، بيروت، ط٥، د.ت.

www.mtenback.com

الألباني، محمد ناصر الدين:

ـــ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥/١٩٩٥.

ـــ ضعيف الجامع الصغير، بيروت المكتب الإسلامي

ـــ صحيح الجامع الصحيح، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩/١٩٧٩.

البارودي، محمود سامي:

ديوانه، حققه: علي الجارم وزميله، دار العودة بيروت ١٩٩٢

البخاري، محمد بن إسماعيل:

ـــ الأدب المفرد، خرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي بيروت، ط٣، دار البشائر الإسلامية ١٤٠٩/١٩٨٩.

ـــ الجامع الصحيح (صحيح البخاري) مع شرحه (فتح الباري)، بتصحيح عبد العزيز بن باز ومحيي الدين الخطيب ومحمد فؤادعبد الباقي، مصر المطبعة السلفية، ١٣٨٠هـ.

بشار بن برد:

ديوانه: جمعه السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣.

بكار، د. عبد الكريم:

مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار المسلم الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة:

الشمائل المحمدية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤١٤هـ.

www.mtenback.com

أبو تمام، حبيب بن أوس:

ديوان أبو تمام، ضبطه وشرحه: شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢/١٩٩٢.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

ـــ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ـــ الحيوان: تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨هـ.

جرير، بن عطية:

ديوان جرير، شرح: تاج الدين شلق، دار الكتاب العربي، بيروت ط١ ١٤١٣هـ.

الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله

المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب، العلمية، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٩٠م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي:

ـــ فتح الباري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

ـــ فتح الباري، تصحيح: عبدالعزيز بن باز ومحيي الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية، مصر.

الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢.

ابن حميد، صالح بن عبد الله:

الوسطية في الإسلام (مقال) المجلة العربية، رمضان ١٤١٥هـ.

www.mtenback.com

ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد:

المسند، راجعه وضبطه وعلق عليه: صدقي محمد جميل العطار، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٤١٤/١٩٩٤م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي:

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ.

الخطيب، عمر:

لمحات في الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٢٩٧هـ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب، د.ت.

الخولي، محمد مرسي:

أبو الفتح البستي، حياته وشعره، دار الأندلس، القاهرة ط١، ١٩٨٠م.

أبو داود، أنس:

دليل السائلين، جدة ١٤١٦هـ

الدجوي، أحمد سعيد:

فتح الخلاق ومكارم الأخلاق، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، د.ت

الدويش، محمد عبد الله:

المدرس ومهارات التوجيه، دار الوطن، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني:

تاج العروس، الكريت، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٥م.

الزحيلي، محمد مصطفى:

الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١، ١٩٩٠م.

www.mtenback.com

الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر:

أساس البلاغة، مصر، مطبعة دار الكتب، ط٢، ١٩٧٢م.

الزيد، زيد عبد الكريم:

الوسطية في الإسلام، تعريف وتطبيق، الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ.

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله:

ديوان ابن زيدون، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

السفاريني، محمد بن أحمد:

تهذيب غذاء الأريب، مكتبة الصحابة، الشارقة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

الشافعي، محمد بن إدريس:

ديوان الشافعي، دار الجيل، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ.

شرشة، فاروق:

أحلى عشرين قصيدة حب، مكتبة مدبولي القاهرة ودار العودة بيروت.

صفي الدين الحلي:

ديوان صفي الدين الحلي، دار بيروت، بيروت.

الصنعاني، محمد بن إسماعيل:

سبل السلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٧هـ.

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد:

العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

www.mtenback.com

عبده، محمد:

نهج البلاغة، شرحه وضبط نصوصه: محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٩هـ.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية شرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

عثمان، عبد الفتاح:

التفكير البلاغي عند المعتزلة، ١٤٠٤هـ.

عثمان، عبد الكريم:

معالم الثقافة الإسلامية، بيروت، مطابع دار القلم.

العجلوني، إسماعيل بن محمد:

كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط٢، طبعة مصورة عن ط٢ سنة ١٣١٥هـ.

عروة بن الورد:

ديوانه، تحقيق: د. يحيى الجبوري، بغداد، ١٩٩٠م.

العقاد، عباس محمود:

العبقريات الإسلامية، دار الكتاب اللبنانين بيروت، ١٩٨٤.

العمار، أحمد:

أساليب الدعوة الإسلامية، دار إشبيلية، الرياض ط ٣، ١٤١٨هـ

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:

إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ

الغزالي، محمد:

خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٣هـ

www.mtenback.com

الغزي، أبو بركات بن محمد:

المراح في المزاح، مراجعة وتعليق: د. السيد الجميلي، القاهرة مكتبة الثقافة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الفرفور، محمد عبد اللطيف:

الوسطية في الإسلام، بيروت دار النفائس ١٤١٤هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب:

القاموس المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ

الفيومي، أحمد بن محمد:

المصباح المنير، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٥م.

القاري، علي بن سلطان بن محمد:

الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة، (الموضوعات الكبرى)، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

القاسمي، جمال الدين:

محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، دار الكتاب العربي بيروت، د.ت.

القراوي، مطلق:

المنهج الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٩١ ربيع الأول ١٤١٩هـ.

القرضاوي، يوسف:

الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٣ ١٤٠٥هـ، وط١ القاهرة ١٣٩٧هـ مكتبة وهبة.

www.mtenback.com

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد:

الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت ط٥ ١٤١٧هـ.

قميحة، مفيد:

شرح المعلقات العشر، دار ومكتبة الهلال بيروت ط١ ١٤٠٧هـ.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر:

الفوائد، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

قيس بن الخطيم بن عدي:

ديوان قيس بن الخطيم، دار بيروت، بيروت، (د.ت).

الكفوي، أبوالبقاء أيوب، بن موسى:

الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دار الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

اللويحق، عبد الرحمن بن معلا:

الغلو في الدين، مؤسسة الرسالة بيروت ط١، ١٤١٢هـ.

الماوردي، علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٢هـ.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان المتنبي، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

www.mtenback.com

أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان:

شرح سقط الزند، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٦.

المنجد في اللغة والأعلام:

دار المشرق، بيروت، ط ٣٦، ١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٣، ١٩٩٤.

موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة:

دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٠هـ.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة:

دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤١٨هـ.

الميداني، أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال: تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٤هـ.

النووي، محيي الدين أبي زكريا:

شرح صحيح مسلم، بيروت، دار الخير، ١٩٩٤م.

ابن هشام، عبدالملك:

السيرة النبوية، دار الفكر، القاهرة.

ابن الوردي، عمر بن المظفر:

ديوانه ورسائله، القاهرة ١٣٩٩هـ، مصورة عن طبعة القسطنطينية، مكتبة المعارف، الطائف.

www.mtenback.com

المجلات:

- مجلة الاقتصاد الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة.
- مجلة الرسالة المصرية، القاهرة.
- المجلة العربية، رمضان ١٤١٥هـ
- مجلة المنهل، صفر ١٤١٧هـ، السعودية، جدة
- مجلة البنوك الإسلامية.
- مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٣٩٢، ربيع الآخر ١٤١٩هـ.

www.mtenback.com

www.mtenback.com

www.mtenback.com